

إِعْلَامُ الْأُمَّةِ بِشَرَعِ كِتَابِ «فَضْلِ الْإِسْلَامِ»

لِلْإِمَامِ الْمَجْدِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ
(١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ)

قَرَّظَ لَهُ فَضِيلَةُ مَعَالِي الشَّيْخِ الذَّكَتُورِ
صَالِحِ بْنِ فُوزَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفُوزَانِ
عَضُوهُنَّ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ

إِعْدَادُ

حَنَانِ بِنْتِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الْبَعَاثِيِّ

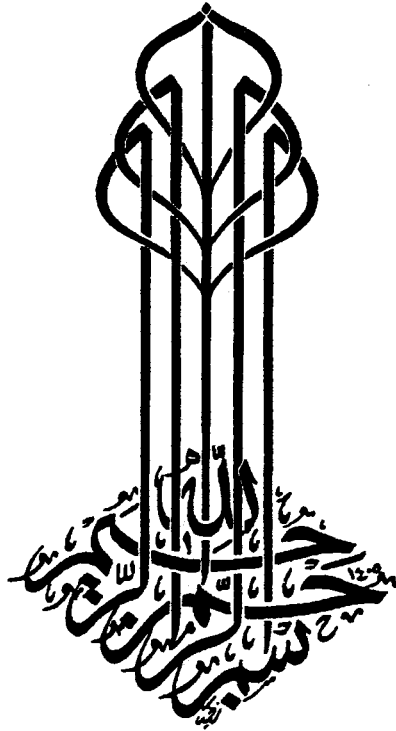
مَاهِسْتِيرِ كِتَابِ وَرِثَةِ

بَيْتِ جَمَاعَةِ أُمِّ الْقُرَيْشِيِّ بِمَكَّةِ الْمُكَرَّمَةِ

وَمُتَرَفَةِ بُوْحَدَةِ التَّرْبِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

بِمُحَافَظَةِ الطَّائِفِ

مَكْتَبَةُ الْأَسَدِيِّ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ح) مكتبة الأسدى ، ١٤٢٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان

إعلام الأئمة شرح كتاب فضل الإسلام / محمد بن عبد الوهاب بن

سليمان ، حنان علي محمد اليماني - مكة المكرمة ، ١٤٢٧ هـ

٢٥٠ ص . . . سم

رسمك : ٠٠-٦٨٦-٥٢-٩٩٦٠

١ - الأخلاق الإسلامية ٢ - الفضائل الإسلامية

أ . اليماني ، حنان علي محمد (مشرف) ب . العنوان

١٤٢٧/٢٣٠٨

ديوي ٢١٢.٢

رقم الإيداع : ١٤٢٧/٢٣٠٨

رسمك : ٠٠-٦٨٦-٥٢-٩٩٦٠

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م



مكتبة الأسدى للنشر و التوزيع



مكة المكرمة - العزيزية - مدخل جامعة أم القرى ت - ٥٥٧٠٠٠٦ فلكس - ٥٥٧٥٢٤١

فرع العزيزية للشرع العلم ت - ٥٢٧٣٠٣٧ ص . ب ٢٠٨٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد تصفحت لهذا الكتاب : (إعلام الأنام بشرح كتاب فضل الإسلام
للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .
فوجدت فيه توصيفاً لهذا الكتاب بأسلوب جيد وطريقة شريفة
فجزى الله كما أتت به ضمناً الجزاء . وهو جدير بالشرح والتداول
للاستفادة منه . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه
كتبه

صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء

صالح



تَمَرُّظًا

قد تصفحت هذا الكتاب: (إعلام الأنام بشرح كتاب فضل الإسلام) للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله. فوجدت فيه توضيحاً لهذا الكتاب بأسلوب جيد، وعرض شيق، فجزى الله كاتبته خير الجزاء. وهو جدير بالنشر والتداول للاستفادة منه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.. أما بعد:

فإنه أمر عظيم أن يلتزم المرء بالإسلام، ويجاهد نفسه في أن يكون على حقيقة الإسلام، ولن يكون ذلك إلا بالعلم النافع الذي به صلاح القلب والعمل، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾
ليوسف: ١٠٨، ومعنى: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ على علم؛ لأن البصيرة للقلب

هي العلم الذي يبصر به حقائق المعلومات ويدرك الصواب فيها. ولهذا لم يأمر الله ﷻ نبيه ﷺ وأُمَّته من بعده أن يزدادوا من شيء إلا من العلم، فقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه: ١١٤.

وقد رفع الله تعالى أهل العلم على سائر المؤمنين فقال تعالى :
﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١]. فكل صاحب علم صحيح من أهل الإيمان
فإنه مرفوع على غيره درجات، وهذا من فضل الله جل وعلا على
أهل العلم.

وطالب العلم إذا سلك هذا الطريق فإن الله يسهل له طريقاً إلى
الجنة، كما قال ﷺ: (ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله
له به طريقاً إلى الجنة) [صحيح مسلم: ٢٦٩٩]، وذلك أن طريق الجنة
يكون بصحة الاعتقاد، ويكون بصحة العمل. وصحة الاعتقاد لا
تكون إلا بعلم، وصحة العمل لا تكون إلا بعلم، ف (من سلك
طريقاً يلتمس فيه علماً) من علم التوحيد، أو علم الفقه والحلال
والحرام (سهل الله له به طريقاً إلى الجنة).

فعلى كل مسلم أدرك وفهم هذه النصوص وغيرها في فضل
العلم وطلبه، وفضل العلماء، أن يقبل إقبالاً شديداً على العلم في
حفظه وتدارسه، فالعلم لا يرغب فيه إلا مؤمن صحيح الإيمان، ولا
يرغب عنه إلا مفرط، وكل من جاهد نفسه في العلم فإنما يجاهد نفسه

في صلاح قلبه ، وصلاح عمله.

ويذكر الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله - ما آل إليه حال

كثير من الناس من إساءة الظن بالعلم فقال : (وفي هذا الزمن ربما

ترون أن كثيرين أسأؤوا الظن بالعلم من جهة ، بل من جهات :

- أسأؤوا ظناً بالعلم في ظن بعضهم أن العلم لا فائدة مرجوة منه

بقدر ما يُبذل فيه الباذل.

- ومنهم من أساء الظن بالعلم في أنه إذا تعلّم فإنما سيكون في

نهايته مثل غيره ، ولن يكون من الأثر الشيء الكبير الذي

يوازي تبعه في العلم.

- ومنهم من أساء الظن في العلم بأن الأهم هو الدعوة للناس

والإرشاد والبذل ونحو ذلك ، والعلم ليس في الأثر كأثر

النشاط والدعوة ونحو ذلك.

- ومنهم من أساء ظناً بالعلم في أن العلم لن يكون لأصحابه

شأن ، وأن الشأن يكون لغيرهم ، إما من أهل الدنيا ، وإما من

أهل الاتجاهات المختلفة في هذه الحياة.

وهذه الأشياء جميعاً من سوء الظن بالشرعية ؛ لأن العلم هو

الشريعة، والواجب على طالب العلم أن يحسن ظنه بالله جل وعلا وأن يحسن ظنه في عمله بالعلم، وأن يحسن ظنه بالعلم والعمل جميعاً، وأن يقبل على ذلك). اهـ. لمن شريط (شرح كتاب فضل الإسلام).
وقد ذكر أهل العلم أن من أسباب ضلال الضالين من هذه الأمة أنهم ضلوا؛ لأنهم لم يكونوا على علم صحيح. فالعلم الصحيح سبب من أسباب الوقاية من الفتن، والوقاية من أسباب الضلال والانحراف.

ولأهمية العلم وفضله وثمرته بالنسبة لكل داعية إلى الله ﷻ اختارت وحدة التربية الإسلامية بمحافظة الطائف أن يدرس كتاب «فضل الإسلام» للشيخ محمد بن عبد الوهاب الإمام المجدد لهذه الأمة أمر دينها، وذلك عبر اللقاءات الشهرية مع مشرفات المصليات لهذا العام ١٤٢٥هـ - ١٤٢٦هـ؛ لما يتضمنه هذا الكتاب من بيان لفضل الإسلام، ووسطيته ومحاربه للبدع والمحدثات... إلى غير ذلك من المسائل المهمة، فهو يُعد - بحق - كتاب منهجي يحتاج إليه الدعاة لتصحيح منهجهم في الدعوة إلى الله تعالى.

ونظراً لأن هذا الكتاب لم يشرح في كتاب مطبوع، فقد اعتمدت

في ضبط نصه على نسخة كتاب «فضل الإسلام» الموجودة في «مجموع مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب» حيث قوبلت على ثلاث نسخ خطية، كما جاء بيان ذلك في المجموع الذي طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وضبطت ألفاظ نصوص الأحاديث والآثار من مصادرها، ووضعت ما خالف المجموع بين معكوفتين، ثم جمعت شرحه من خلال شروح العلماء وأساتذة الجامعات عبر الأشرطة وهي كالتالي:

- ١ - شرح كتاب «فضل الإسلام» للشيخ صالح بن فوزان آل فوزان.
- ٢ - شرح كتاب «فضل الإسلام» للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ولم يكتمل.
- ٣ - شرح كتاب «فضل الإسلام» للأستاذ الدكتور ناصر العقل - عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -
- ٤ - شرح كتاب «فضل الإسلام» للدكتور عبد العزيز بن محمد السعيد - عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -

بالإضافة إلى بعض الكتب المساعدة في إتمام الشرح مثل : كتب التفسير، والحديث، واللغة بحسب ما يقتضي هذا الشرح المختصر وسميته : (إعلام الأنام بشرح كتاب فضل الإسلام) وقد تضمن هذا الشرح ما يلي :

- المقدمة.

- ترجمة موجزة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله.

- تعريف بالكتاب وبيان فضله و سبب تأليفه.

- شرح متن الكتاب.

هذا، وأسأل الله العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يحسن لنا نياتنا وأعمالنا، ويصلح لنا ذرياتنا، وأن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، والدعوة إليه كما يحب ربنا ويرضى، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبته

حنان بنت علي بن محمد اليماني

مشرفة وحدة التربية الإسلامية

بمحافظة الطائف

ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله

هو الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي الوهبي التميمي، ولد سنة ١١١٥هـ بالعينة من بلاد عارض اليمامة ونشأ في أحضان أسرة فاضلة، وبين أبوين كريمين، فوالده الشيخ عبدالوهاب بن سليمان (ت ١١٥٣هـ) من علماء نجد المعروفين، ومن قضاة العينة، وجده الشيخ سليمان بن علي (ت ١٠٧٩هـ) من المشهورين بالفقه والفتوى، وكذلك عمه وخاله، مما هيأ له البيئة الصالحة.

وقد دفعه ذلك إلى الإقبال على العلم في وقت مبكر، مع ما حباه الله من الذكاء الوافر، والفهم الثاقب والقدرة على الحفظ والصبر على القراءة والتحصيل.

حفظ القرآن الكريم واستظهره وهو دون العاشرة، وأخذ عن كثير من علماء بلده، ورحل إلى الحجاز والبصرة، والأحساء والمدينة، وأخذ عن شيوخها.

عقيدته:

هي عقيدة السلف الصالح، وقد قال مرة: أشهد الله، ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أنني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة.

مذهبه في الفروع:

هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله وقد ذكر ذلك في مؤلفاته فقال: (وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل - إمام أهل السنة والجماعة - في الفروع، ولا ندعي الاجتهاد، وإذا بان لنا سنة صحيحة عن رسول الله صلوات الله عليه عملنا بها، ولا نقدم عليها قول أحد كائناً من كان). اهـ. أحمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه. تأليف: أ. مسعود الندوي ص ١٤٨.

عصره:

انتشر في عصره البدع والخرافات والشرك الصريح، بسبب الدولة العثمانية، التي كانت راعية لهذه البدع في كل مكان.

- ففي المدينة النبوية كان يسمع الاستغاثات برسول الله صلوات الله عليه ودعائه من دون الله تعالى.

- وفي نجد الكثير من القبور التي تنسب إلى الصحابة رضي الله عنهم، يحج الناس إليها، ويطلبون منها حاجاتهم، ويستغيثون بها لدفع كربهم.

فقد كانوا في الجبيلة - قرية من قرى العيينة - يؤمون قبر زيد بن الخطاب، يتضرعون إليه ويسألونه حاجاتهم.

- وكذلك في الدرعية كان يوجد قبر لبعض الصحابة، كما يزعمون.

- وأغرب من ذلك توسلهم في بلد المنفوحة - قرية ذات أمارة من قرى الرياض - بفحل النخل، واعتقادهم أن من تؤمه من العوانس تزوج، فكانت من تقصده تقول: «يا فحل الفحول أريد زوجا قبل الحول».

وغير ذلك من البدع والشركيات ما الله به عليم.

ولم يجرؤ أحد من العلماء على الإنكار، فتصدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب لذلك، فبدأ بالإنكار حين كان في البصرة، وبدأ في تأليف كتاب التوحيد، وبعد أن غضب أهل البصرة منه ونقموا عليه رجع إلى بلده، واستقر في «حريملاء» وبدأ دعوته لقومه إلى العقيدة

الصحيحة، ونبذ الشرك والبدع والخرافات، ولما تأمر البعض على قتله غادرها إلى «العيينة» مسقط رأسه، وكان حاكمها آن ذاك عثمان بن حمد بن معمر الذي رحب به، وسانده في دعوته، إلى أن جاءه خطاباً تهديدياً من «سليمان بن محمد بن عريعر» حاكم الأحساء وبني خالد يأمره بقتله، وإلا قطع عنه خراج الأحساء، فخضع له وأخرجه من العيينة يمشي على رجليه، ولسانه لا يفتر عن ذكر الله تعالى، ويردد قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]، ووكل به فارس يمشي خلفه، وعندما همَّ الفارس بقتل الشيخ - بإيعاز من ابن معمر - ارتعدت يده، وكفاه الله شره.

ونزل الشيخ بالدرعية سنة ١١٥٨ هـ ضيفاً على عبد الرحمن بن سويلم، وابن عمه أحمد بن سويلم، وخاف ابن سويلم على نفسه من الأمير محمد بن سعود، ولكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب سكن جأشه، وأفرغ عليه من العظات وملاه رجاء بالله وبنصره.

ثم زاره الأمير محمد بن سعود بترغيب وحث من أخوي الأمير اللذين كانا يحضران للشيخ دروسه وشرح الله صدر الأمير، وبإيعاز الشيخ محمد على الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله، والتمسك

بسنة رسول الله ﷺ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الشعائر الدينية.

وهكذا انتشرت دعوته حتى عمّت الجزيرة كلها، وتجاوزت الجزيرة ولا يزال صدى دعوته يتردد حتى الآن.

توفي سنة ١٢٠٦هـ، ويعتبر بحق مجدد الدين في القرن الثاني

عشر.

مؤلفاته:

ألف عدة كتب منها:

- كتاب التوحيد.
- كشف الشبهات.
- الأصول الثلاثة.
- مختصر السيرة النبوية.
- الكبائر.
- أصول الإيمان.
- مختصر زاد المعاد.
- مسائل الجاهلية.
- فضل الإسلام.

(انظر ترجمته في كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب. عقيدته السلفية ودعوته

الإصلاحية، وثناء العلماء عليه» للشيخ أحمد بن حجر آل بن علي، ص ١٥ - ٢٩

باختصار).

تعريف بالكتاب

هذا الكتاب الذي ستتعرض لشرحه هو كتاب «فضل الإسلام» لشيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمته الله. وهو كتاب جامع مبين لفضل هذا الدين ووسطيته صدر من عالم جليل، علم ما الناس عليه من البدع والضلالات، والأهواء وما شطحوا به في تفسيرهم للإسلام ووسطيته، وما أداهم إليه الغلو من الخروج عن الإسلام، أو الوقوع في البدع والمحدثات فعالج ذلك على ضوء الكتاب والسنة، في ثلاثة عشر باباً جامعاً من أبواب الخير. وفضل الإسلام قد نوّه الله تعالى به في القرآن الكريم، وجاءت به السنة المطهرة مبيّنة لذلك، كما جاء بيان فضله على السنة أهل العلم الربانيين، الذين ورثوا نبينهم صلوات الله عليهم، وساروا على نهجه وأخذوا من مشكاته.

ولهذا، فإن هذا الكتاب حريٌّ بالمراجعة والقراءة، والنظر فيه

خاصة في مثل هذه الأزمان التي ظهر فيها الجهل ، وقلَّ فيها العلم
وتسلطت على الناس الشبه والمحدثات.

والمؤلف رحمته الله أراد بهذا الكتاب بيان فضل الإسلام الذي بعث
به النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا يتضمن الإسلام الذي اشترك فيه الأنبياء
عليهم السلام ، لأنهم مشتركون في العقيدة ، فعقيدتهم واحدة وشرائعهم
مختلفة ، فكل ما ورد في فضل الإسلام يدخل في فضل التوحيد الذي
اشتركت فيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وهنا ترد مسألة وهي :

عندما صنف الإمام رحمته الله هذا الكتاب «فضل الإسلام» جعل
تحتة ثلاثة عشر باباً ، وعنون للباب الأول بعنوان الكتاب «باب فضل
الإسلام» فهل يقصد الإمام أن هذه الأبواب جميعاً داخلة في فضل
الإسلام ، أم أنه سمي الكتاب بجزء منه؟

كلا المعنيين محتمل ، فيحتمل أنه سمي الكتاب ببعضه ، وهذا
واضح الدلالة ، ويحتمل أن هذا العنوان مشتمل على جميع الأبواب
المذكورة تحتة. وعلى المعنى الثاني لا بد أن نعرف متعلقات هذا الفضل
حتى تكون الأبواب التي ساقها المؤلف واضحة.

وذلك أن فضل الإسلام له متعلقات ، فضله باعتبار حقيقته ،
وفضله باعتبار أهله ، وكذا فضله باعتبار الزمان وباعتبار المكان ،
وفضله على غيره من الأديان ، وغير ذلك ، فإذا نظرنا إلى تعدد
متعلق هذا الفضل ترابطت الأبواب كلها ، وظهر ارتباطها بعنوان
الكتاب .

وأخيرا فإن هذا الكتاب عظيم في بابه ، ينبغي الحرص على فهمه
وإدراكه ، وفقه معاني نصوصه مما يبعد عن الناس كثير من الشبه
والمحدثات سواء كانت بقصد أو بغير قصد .



باب فضل الإسلام^(١)

(١) يريد المصنف رحمه الله بتبويبه «باب فضل الإسلام» عدة أمور:

الأمر الأول: فضل الإسلام في نفسه على غيره من الملل.

والإسلام يشمل الدين كله بمراتبه المختلفة: الإسلام والإيمان والإحسان ويشمل الدين كله من جهة العقيدة والشريعة والسلوك والجزاء ونحو ذلك فالإسلام فَضْلٌ غيره، وصار مفضلاً على غيره بتفضيل الله جل وعلا.

الأمر الثاني: فضل الإسلام على أهله الذين اعتنقوه ودخلوا فيه واستقاموا عليه ظاهر في الدنيا والآخرة في النصوص، فبين المصنف بعضاً من هذه النصوص التي تدل على فضل الإسلام على أهله، وآثاره المباركة على عباد الله.

الأمر الثالث: أن الإسلام تحمله أمة، وهذه الأمة لأجل حملها للإسلام صارت مفضلة على غيرها، وصارت خيراً من غيرها، كما قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ لآل عمران: ١١٠.

ثم فيه فضل الأمة الوسط من هذه الأمة على سائر فرق الأمة التي أخبر عنها الرسول ﷺ بأنها ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهذه الواحدة هي الجماعة التي أخذت بالدين الوسط، يعني الدين المتيقن منه، العدل الخيار. قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

البقرة: ١٤٣.

وقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١) المائدة: ٣.....

= فإذا كان لأهل الإسلام عامة فضل خاص - بينته الآيات والأحاديث في هذا الباب - فإنه أحرى الناس بأخص الفضل وأعلى الفضل هم أهل السنة والجماعة الذين أخذوا بطريقة الجماعة الأولى، ولهذا ثبت في المسند أن النبي ﷺ قال: (أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله).
إسناده حسن من حديث حكيم بن معاوية. للمسند: ١٥٠٠١٥.

ولهذا بين المصنف ﷺ في هذا الكتاب بعامة ما يتصل بتقرير هذه المسائل وبين أنواع الفضل في الدنيا والآخرة، وما يتميز به القرآن والسنة من الفضل على أهله المتمسكين به بأنواع الفضل - كما سيأتي بمشيئة الله -.

(١) هذه الآية نزلت على النبي ﷺ وهو واقف بعرفة في حجة الوداع، وهي من آخر ما نزل من القرآن الكريم؛ لأن النبي ﷺ عاش بعدها مدة يسيرة حيث رجع إلى المدينة بعد الحج، ثم مرض وتوفي ﷺ، وهي دليل على أن النبي ﷺ ما توفي حتى أكمل لنا الدين، وفي ضمن هذا رد على المبتدعة الذين يحدثون أشياء وينسبونها إلى الدين.

- وهذه الآية من النصوص الدالة على فضل الإسلام، فقد ثبت في الصحيحين من حديث طارق بن شهاب، عن عمر بن الخطاب ﷺ: =

= (أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: أي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ .

قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة). اصحيح البخاري: ٤٥- صحيح مسلم: ١٧/ ١٣٠. - هكذا عرف اليهودي فضل الدين من هذه الآية، حيث إن فضله ظاهر من عدة جهات:

(أ) فمن جهة حقيقة الإسلام: فإن فضله ظاهر من حيث إن الله ﷻ كمله والكامل لا يحتاج إلى زيادة، وأتمه ﷻ، وما أتمه الله ﷻ فلا ينقصه أبداً كما قال ابن عباس رضي الله عنهما عند شرح هذه الآية: (أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه فلا يسخطه أبداً) لتفسير ابن كثير: ١٤/ ٢.

(ب) ومن جهة أهله: وذلك أن قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ جاء عاماً للناس أجمعين، ولهذا لا يقبل الله جل وعلا بعد البعثة ديناً من أحد سوى الإسلام، فهذا فضل لجميع أهله.

(ج) ومن جهة بقائه: وذلك أن الأديان السابقة كانت مخصوصة لأوقات محددة، وأزمنة عينها الله ﷻ، ثم نسخها بدين الإسلام، بينما دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ فإنه باقٍ إلى قيام الساعة، حتى إن

=عيسى ﷺ حين ينزل آخر الزمان فإنه يحكم بشريعة النبي ﷺ.

- وفي قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يراد به أن دين الإسلام بعقيدته وشريعته، وبمصادره من الكتاب والسنة، وما دل عليه الكتاب والسنة من الأدلة قد أكمله الله جل وعلا، فلم يعد فيه زيادة لمستزيد وهذا فضل الإسلام بخلاف الملل الأخرى التي لم تكن كاملة.

وفي هذا رد على الذين يتنقصون الإسلام، وأنه لا يصلح لكل زمان مثل الملاحدة اليوم الذين يقولون: إن الإسلام لأجيال مضت، والزمان قد تغير، فالإسلام لا يصلح لآخر الزمان. فالله تعالى يرد عليهم بهذه الآية فإذا قصرت أفهام بعض الناس عن فهم الإسلام، فالعيب ليس في الإسلام، وإنما في فهم بعض الناس، وإلا فالدين كامل وصالح وشامل لمصالح العباد إلى أن تقوم الساعة.

- وفي قوله ﷺ: ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ أي أتم الله لنا النعمة بهذا الدين

وهو أعظم نعمة أنعم الله بها على البشرية.

والنعمة نوعان:

(أ) نعمة دينية. (ب) نعمة دنيوية.

والإسلام له فضل في الجهتين:

فمن الجهة الدينية: الإسلام بمصادره من الكتاب والسنة فيه البيان لما يحتاجه

الناس في أمر دينهم، فلا يلتبس الطريق على من أراد الحق.

(ب) ومن الجهة الدنيوية: فإن الله ﷻ وعد من تمسك بالإسلام أنه يكون في حياة طيبة، كما قال جل وعلا: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ١٩٧].

والحياة الطيبة تشمل الطمأنينة في هذه الدنيا، والأمن والرضا ونحو ذلك مما لا تكون الحياة الطيبة إلا به مهما كثر المال أو كثرت ملذات الدنيا، فإنها لا تستقيم إلا بالطمأنينة والرضا والأنس بالله ﷻ.

- وفي قوله سبحانه: ﴿وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ رضي الله تعالى هذا الدين لنفسه، ورضيه لعباده، ولا يرضي سبحانه ديناً سواه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. وسائر الأديان كلها باطلة لا يرضاها الله ﷻ. وفي قوله: ﴿لَكُمْ﴾ دلالة على أن المراد هو الإسلام الذي صار سمة هذه الأمة. والإسلام إذا رضيه الله ﷻ لعباده ديناً معنى ذلك أنه ﷻ يرضى عمن أخذ بهذا الإسلام، ويرضى عمن استقام على الإسلام ودخل فيه، وإذا كان كذلك فأهله مرضي عنهم، وإذا كانوا مرضياً عنهم من الله جل وعلا فهم إذا مخصوصون بتوفيق الله جل وعلا ومعيته الخاصة قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ومعية الله الخاصة هي لمن رضي عنه، فمن رضي عنه قولاً وعملاً - وذلك بتمسكه بالإسلام اعتقاداً وعملاً - فإنه يحظى بالمحبة من الله ﷻ =

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ ﴾ (١) ليونس: ١٠٤.....

= والتوفيق والهدى، وهذه كلها فيها من الآثار في الدنيا والآخرة مما لا يدخل تحت الحصر.

ولهذا وجب على المسلم أن يتبين فضل الله تعالى عليه بهذا الدين، فلا يَمُنُّ على الله بعمله وعبادته، فإن الله ﷻ هو صاحب المنة لو كانوا يعقلون.

(١) هذه الآية من سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي

شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ ﴾ ... الآية. هذا خطاب من الله تعالى للنبي ﷺ أن يعلن للمشركين

أنهم إن كانوا في شك مما جاء به النبي ﷺ - وهو الإسلام - فإنه عليه الصلاة والسلام لا يعبد الذين يعبدون من دون الله، ولكن يعبد الله الذي يتوفاهم بمعنى أنه استدل عليهم بتوحيد الربوبية؛ لأن هذه الآلهة المعبودة من غير الله لا تملك نفعاً ولا ضراً ولا تميت، لذلك ليست مستحقة للعبادة وإنما المستحق للعبادة هو الذي أنفخ الخلق بيده سبحانه.

فهذه الآية استدلت بها الإمام المصلح ﷺ لبيان فضل الإسلام من عدة جهات:

أ) فضل الإسلام من جهة حقيقته: وذلك أن الآية تبين أن حقيقة الإسلام =

=الذي بعث به النبي ﷺ هو توحيد الله ﷻ الذي اتفق هو وإخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على الدعوة إليه ، وهذا ظاهر من قوله تعالى : ﴿ فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَنْ يَكُنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ ﴾ فأعلن كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) التي فيها النفي وفيها الإثبات.

ب) فضل الإسلام من جهة عمومته : ويتبين هذا من قوله سبحانه : ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ ﴾ ... عام يشمل العرب والعجم ، والأبيض والأسود والذكر والأنثى ، والقريب والبعيد ، وهذا بخلاف الأديان السابقة التي كانت خاصة في أقوام الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ج) فضل الإسلام على أهله : حيث إنهم يسلمون من برائث الشهوات وبرائث الشبهات ، وهي أعظم ، فإذا وردت الشكوك فإن صاحب الدين يسلم من التردد فيها ، ولهذا قال ﷻ : ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ فإذا وقعت الشكوك من أهل الشرك أو أهل البدع أو أهل الضلالات ، وأوقعوها لدى المؤمن وعرضوها عليه ، فإن من فضل الإسلام على المؤمن ، وعلى المسلم ، إذا علمه وتمسك به ، وصار له به النور في قلبه أنه لا يتأثر بتلك الشبه والشكوك كما كان إمامنا عليه الصلاة والسلام قوياً فيما واجه به المشركين ، حيث قال لهم : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي ﴾ يعني من دين الإسلام =

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وءَامِنُوا بِرِسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ؕ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٨﴾ (١) الحديد: ٢٨.....

= والتوحيد الذي جئت به ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنُكُمْ﴾ فكلما قوي الإيمان والعلم بتفاصيل الإسلام بعقيدته وشريعته فإن المرء يكون قوياً معتزلاً بالإسلام لا تؤثر فيه شبهة، وهذا من آثار وفضل الإسلام على أهل الإسلام أن الله ﷻ يثبتهم، ولا يكلهم إلى أنفسهم، بل يعينهم ويسددهم عند حلول الشبهات.

وهذا واقع، فإنما صمد في كل زمن عند حلول الفتن أهل العلم بالإسلام والسنة، فكان لهم الأجر على أنفسهم وعلى الأمة في كل زمان ومكان.

(١) وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وءَامِنُوا بِرِسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن

رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ؕ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٨﴾

لعلماء التفسير قولان في تفسير هذه الآية، وبيان من المقصود بها هل هم المؤمنون من أهل الكتاب؟ أم المؤمنون من هذه الأمة؟.

فعلى القول الأول: بأن المراد بهذه الآية هم مؤمنو أهل الكتاب، فإن فضل

= الإسلام ظاهر من وجهين:

=الوجه الأول: أن الله تعالى دعا أهل الكتاب إلى الإيمان بالرسول ﷺ ومتابعته والانقياد لدين الإسلام وترك الشرائع السابقة التي وإن كانت صحيحة فهي منسوخة بشريعة محمد ﷺ، وبالتالي فإن غيرهم من الوثنيين والمشركين أولى بأن يدخلوا في دين الإسلام، فيظهر فضل الإسلام باعتبار أنه شامل للناس أجمعين.

الوجه الثاني: أن الله تعالى قال: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ فجعل سبحانه أجراً عظيماً مرتباً على الدخول في الإسلام، فمن كان مؤمناً بنبي سابق وأدرك الإسلام وآمن ضوعف له أجره مرتين، وقد جاء هذا الوعد لأهل الكتاب في آية أخرى في سورة القصص، وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ ءِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٥﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ القصص: ٥٤ - ٥٦.

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فأمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها، فأحسن غذاها، ثم أدبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران). صحيح البخاري: ٩٧.
صحيح مسلم: ١٥٤، واللفظ لمسلم.

=وعلى القول الثاني: وهو أن المراد بهذه الآية هم مؤمنو هذه الأمة فدلالتها على فضل الإسلام ظاهرة؛ لأن الله ﷻ رتب على الإسلام أجرين وعلى غيره أجر واحد - كما دل عليه حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي سيأتي - وقد ذهب إلى هذا القول الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه لهذه الآية، وبين أن هذه الآية خطاب للمؤمنين بأنهم إن حققوا الإسلام واتقوا الله وآمنوا برسوله فإن الله جل وعلا يفضل عليهم، ويمن عليهم بثلاثة أنواع من الفضل:

الأول: أنه يؤتيهم كفلين من رحمته، كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِيَكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي حظين عظيمين من رحمته، وهذا يشمل رحمة الدنيا التي يحتاج إليها كل الناس، ورحمة الآخرة التي لا ينجو أحد من النار إلا بها.

الثاني: قال: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ وهو نور العلم واليقين والبصيرة، الذي يستطيع المسلم أن يميز به بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال. وهذا النور الذي يجعله الله في قلوب المؤمنين إنما يعظم بعظمة تحصيل الإسلام والاستقامة عليه عقيدة وشريعة، وإذا زاد النور في القلب فإنه يبصر به في ظلمات الشبهات، بل من فضل العلم وأثره على العبد أنه بالقرب من أهل الاستقامة على الإسلام والسنة وطريقة السلف الصالح يمنحه الله ﷻ النور الذي يبصر به ولا يضل به السبيل.

الثالث: قال: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ^٤ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فمن فضل الإسلام على =

=أهله أن الإسلام بتحقيقه سبب عظيم من أسباب المغفرة، والله ﷻ قد وعد كل مسلم ومسلمة، وكل مؤمن ومؤمنة بالمغفرة والأجر العظيم كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وكلما كان المسلم أقوى في الاستمسك بالإسلام والسنة، والبعد عن الشرك فإنه يكون أقوى في الإتيان بسبب المغفرة، ولهذا جاء في الحديث أن الله ﷻ يقول: (يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة) صحيح سنن الترمذي: ١٢٨٠٥. يعني: بملء الأرض مغفرة.

ويعد هذه الآيات ينبغي التنبيه إلى أنه لما جعل الإسلام مفضلاً على غيره وجعل أهله مفضلين على غيرهم، فإنما يعني ذلك أن التبعة بهذا التفضيل عظيمة. لهذا قال سبحانه في وصف هذه الأمة: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وكلما زاد الفضل زادت التبعة؛ لأن الله ﷻ يؤاخذ الفاضل بما لا يؤاخذ به غيره، ويؤاخذ العالم بما لا يؤاخذ به من ليس بعالم.

وفي الصحيح^(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراً^(٢).....

= وهذا يعظم التبعة على كل رافع لرأية السنة والتوحيد:

- أن لا يتخلف عن التمسك بذلك أولاً.

- أن لا ينسب إلى الإسلام والسنة ما ليس منه، لأنه إنما يصف الطريق التي وصفها الله ﷻ، ووصفها رسوله ﷺ وذلك بدلائله من الكتاب والسنة على فهم سلف هذه الأمة.

(١) أي صحيح البخاري / ٢١٤٨، وفيه لفظ: (وأقل عطاء) بدلاً من: (وأقل أجراً).

وهذا الحديث فيه بيان فضل الإسلام على أهله، وأنهم أعظم أجراً من غيرهم من أصحاب الملل السابقة، وقد ضرب النبي ﷺ هذا المثل لتوضيح هذا الأمر.

(٢) قوله ﷺ: (مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراً) أي

مثل أمة محمد ﷺ، ومثل أهل الكتابين من اليهود والنصارى (كمثل رجل): الممثل به هو الله ﷻ، حيث هو الذي تعبد عباده بالعبادات، وهو الذي يعطيهم الأجر، فعبر بقوله: (كمثل رجل)؛ لأن تمثيل الحقوق في القرآن الكريم بحق الله ﷻ، وحق عباده ونحو ذلك يكون بالرجل ومن =

فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط^(١)؟
 فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة
 العصر على قيراط^(٢)؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل من
 صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم
 فغضبت اليهود والنصارى^(٣)،

=يعمل عنده، كقوله ﷺ: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا
 يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ
 وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧٦﴾ [النحل: ١٧٦]، ونحو ذلك من
 الآيات التي يضرب فيها المثل بما يقرب الأمر إلى سامعه.

(١) قوله: (من غدوة إلى نصف النهار): من أول النهار إلى الظهر (على
 قيراط): القيراط جزء من أجزاء الدينار. لانتهاء في غريب الحديث لابن الأثير
 ٤/٤٤٢، وقد كان متعاملاً به سابقاً.

(٢) قوله: (من نصف النهار إلى صلاة العصر): من صلاة الظهر إلى صلاة العصر.

(٣) قوله: (فغضبت اليهود والنصارى): متى كان هذا الغضب؟.

- قال بعض العلماء: يحتمل أن ذلك المذكوراً عندهم في الكتب السابقة
 فهم علموا أن هذه الأمة تعمل أقل منهم، وتنال أجراً أكثر منهم فغضبوا.=

وقالوا: مالنا أكثر عملاً وأقل أجراً؟ قال: هل نقصتكم من حركم شيئاً؟ قالوا: لا. قال: ذلك فضلي أوتيه من أشياء^(١).....

= وقال بعض أهل العلم: أن هذا يظهر لهم يوم القيامة، وإنما عبر بالماضي؛ لأن وقوع هذا الشيء متحقق.

ولكن ليس المراد كل اليهود والنصارى، وإنما كفارهم هم الذين غضبوا كما ذكر ذلك أهل العلم؛ لأن الاعتراض على قدر الله وشرعه كفر.

(١) قوله: (ذلك فضلي أوتيه من أشياء): لا حجر على الله ﷻ، وهو لا يظلم أحداً فيخسه حقه، والله حكم عدل يجازي على العمل ويزيد، والزيادة فضل منه سبحانه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٤٠.

فهذا فضل الله سبحانه على هذه الأمة، ولا اعتراض عليه في تفضيله لها على غيرها من الأمم، وهو سبحانه أعلم بمواقع فضله، وهو أعلم بخلقته ومن يستحق الفضل، فالجزاء على العمل عدل، والزيادة على الجزاء فضل منه ﷻ. إذا من هذا الحديث يتبين لنا فضل الإسلام من جهتين:

١- فضله على أهله: بأنهم خصوا بزيادة الأجر على غيرهم من الأمم.

٢- فضله في ذاته: بأن العمل الذي يقع في شريعة الإسلام يفضل على العمل الذي يقع في الشرائع السابقة.

=

وفيه أيضاً^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ:

(أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت،

= وفي قوله ﷺ: (ذلك فضلي أوتي من أشياء): لفظة عظيمة ينبغي التفتن لها وهي: أن هذا الفضل المذكور في الحديث - مضاعفة الأجر لهذه الأمة - إنما هو من الله جل وعلا، وإذا كان من الله جل وعلا فإن فضل الإسلام على أهله إنما هو من الله ﷻ، وهذا يجعل المسلم دائم التعلق بالله جل وعلا معرفة منه بفضل ربه عليه في دينه هداية، وفي أجره عليه.

- فمن الذي هدى عباده للإسلام؟

- ومن الذي هداك للاستقامة على السنة؟

- ومن الذي تفضل عليك بالنور بعد ذلك؟

- ومن الذي تفضل بالحظين من الرحمة والكفلين من الأجر؟

فحينئذ يكون الأمر من الله جل وعلا وإليه ابتداء وانتهاء، وهذا يجعل قلب المسلم موطناً على محبة الله ﷻ والذل له والاعتراف له جل وعلا بالفضل والإحسان دائماً وأبداً.

(١) أي في صحيح مسلم: ٨٥٦. والضمير في قوله (وفيه): يعود على الصحيح

لا على البخاري.

(٢) هذا الحديث ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه

واللفظ الذي ساقه المؤلف إنما هو من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

و[كان] للنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا [الله] ليوم الجمعة
[فجعل الجمعة والسبت والأحد] ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة
نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والأولون يوم القيامة^(١).....

(١) في هذا الحديث بيان فضل الإسلام على الأديان السابقة ، وفضل أهله
فهم أفضل الأمم في الدنيا والآخرة.

ومعنى الحديث : أن الله ﷻ ابتلى الأمم من قبلنا في يوم يتخذونه عيداً
فأمرهم بيوم ، وأعمى ذلك اليوم عليهم.

- واجتمعت اليهود وأجمعت على أن ذلك اليوم هو يوم السبت ، وقالوا:
لأنه اليوم الذي استراح الله فيه - قبحهم الله - بعد أن تعب من خلق
السموات والأرض ، فكان بداية الخلق يوم الأحد ، ونهايته يوم الجمعة
ولم يكن في يوم السبت خلق فاستراح فيه الله ﷻ - تعالى الله عما يقولون
علواً كبيراً - فجعلوا هذا اليوم عيداً. فرد الله تعالى عليهم بقوله سبحانه:
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ

﴿٢٨﴾ اق: ٢٣٨.

- واجتمعت النصارى على أن عيدهم يوم الأحد وقالوا: لأنه هو اليوم
الذي ابتداء الله فيه الخلق.

- أما هذه الأمة فإن الله ﷻ هو الذي اختار لها يوم الجمعة لأنه أفضل =

وفيه تعليقا^(١) عن النبي ﷺ أنه قال:

= الأيام، ولأنه تكامل فيه الخلق، وفيه خلق آدم ﷺ، وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها، وفيه توفى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل العبد ربه فيه عطاء إلا استجيب له، وفيه تقوم الساعة، فهو اليوم العظيم الذي حدثت فيه الحوادث العظيمة، وسيحدث فيه الحدث العظيم وهو قيام الساعة.

فاليهود والنصارى تبع لنا في الدنيا، حيث إن يوم الجمعة يتبعه السبت والأحد. وكذلك هم تبع لنا في الآخرة وذلك لأن هذه الأمة تبعث قبل الأمم، وتحشر أول الأمم، وهي أول الأمم حساباً، وأول الأمم دخولاً الجنة، ولهذا جاء في آخر الحديث: (نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة).

إذا فضل الإسلام على ما سبق ظاهر، حيث إنهم في الدنيا هم المتبوعون وفي الآخرة تتقدم هذه الأمة على غيرها من الأمم فتكون الأولى يوم القيامة، وهذا دليل على شرف منزلتها في الدنيا والآخرة؛ حيث إنها الآخرة وجوداً في الدنيا، والأولى دخولاً الجنة في الآخرة.

(١) أي في صحيح البخاري في باب الدين يسر، في كتاب الإيمان من أول

صحيح البخاري ١: ٢٢٣.

والمعلق: هو الذي حذف من مبتدأ إسناده راوٍ أو أكثر، وقد يحذف الإسناد

=

كله. وهو على قسمين:

(أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة)^(١).....

(أ) معلق مجزوم به: وهو ما كان بصيغة الجزم ك(قال) و(ذكر) و(روى).
 (ب) معلق غير مجزوم به: وهو ما كان بصيغة التمريض ك(قيل) و(ذكر)
 و(روى).

وقد حصر الحافظ ابن حجر معلقات البخاري، وذكر أسانيدھا في كتابه
 «تغليق التعليق» وهذا التعليق من المجزوم به.

والمعلق يعتبر من الحديث الضعيف، إلا أن وجوده في الصحيحين أو
 أحدهما يؤنس بصحته، لأنهما اشترطا على نفسيهما الصحة في كتابيھما
 فلا يخرجان إلا الصحيح فقط.

(١) قوله ﷺ: (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة).

- في قوله (الدين) هل الألف واللام للعهد أم للجنس؟

بمعنى: هل الألف واللام للجنس: فيكون المراد جميع الأديان، أي أحب
 الأديان إلى الله ﷻ الحنيفية السمحة التي هي دين الإسلام ودين محمد
 ﷺ، أم أن الألف واللام للعهد فيكون المراد: الدين المعهود، وهو دين
 الإسلام، فيصبح المعنى: أحب خصال الدين الذي هو الإسلام الحنيفية
 السمحة، أي ما كان على وفق السنة، وكان سمحاً سهلاً.

وعلى هذا بحسب توجيه كلمة (الدين) يختلف معنى (أحب).

فعلى المعنى الأول: وهو أن الدين للجنس تكون (أحب) أفعل بمعنى =

= (مفعول) يعني محبوب الدين إلى الله الحنيفة السمحة ؛ لأن الأديان السابقة ليست محبوبة لله جل وعلا بعد مجيء الإسلام ، فتكون أفعال هنا ليست على بابها في التفضيل ؛ وإنما بمعنى مفعول : أي محبوب الدين عند الله .

وعلى المعنى الثاني : وهو أن الدين للعهد ، وأن المقصود هو دين الإسلام يكون (أحب) على بابها - في التفضيل - والمعنى : أحب خصال الإسلام وشرائع الإسلام إلى الله ﷻ الحنيفة السمحة ، وهذا هو الذي فهمه البخاري ، حيث أورد الحديث في كتاب (الإيمان) ليدل على يسر الدين أولاً ، وأن أيسر الدين أحبه إلى الله ﷻ ، وليدل على أن الأعمال من الإيمان . - قوله : (الحنيفة السمحة) : يقول ابن القيم (جمع الله ﷻ في هذه الشريعة بين كونها حنيفة ، وكونها سمحة فهي حنيفة في التوحيد ، سمحة في العمل) لإغاثة اللفهان : ١ / ١٠٨ .

فالحنيفة في الأصل هي ملة إبراهيم الخليل ﷺ ، وهي التي أوحى إلى محمد ﷺ أن يتبع ملته ، كما قال تعالى : ﴿ تَمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٣] .

والحنيفة : مأخوذة من الحنف ، وهو الميل عن جميع طرق الضلال إلى الطريق الذي رضيه الله ﷻ ، أي مالت عن الشرك إلى التوحيد .

والحنيف : هو المقبل على الله ، المعرض عما سواه ، فإبراهيم ﷺ ، كان مقبلاً على الله ﷻ ، معرضاً عما سواه من الخلق ، ولذا امتدحه الله ﷻ =

= فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤)
 للنحل: ١٢٠.

- وإذا كانت (الحنيفية) بمعنى الميل فإنها قد تكون:
 أ) في العقيدة والأصل والتوحيد، لأن العقيدة في باب العلم تحتاج إلى ميل
 من الغلط إلى الصواب.

ب) في الشريعة، في باب الأهواء والشهوات فنحتاج إلى ميل عن طريق
 الشهوة إلى طريق الاتباع والاستقامة.

- ومعنى (السمحة): المسرة السهلة، وفي هذا الحديث بيان أن الله ﷻ من
 على هذه الأمة بأن جعل دينها حنيفاً سمحاً سهلاً، بخلاف الأمم السابقة
 التي ابتلاها بالآصار والأغلال، قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ
 الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٥) للأعراف: ١٥٧.

ومن صور الآصار التي كانت على الأمم السابقة ما نقله الدكتور فرج
 الفقيه في كتابه مظاهر التيسير ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية ص ١٤٤٣ حيث
 قال: (جاء في سفر الخروج: إذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات، يرمم
 الثور، ولا يؤكل لحمه، وأما صاحب الثور فيكون بريئاً، ولكن إن كان
 ثوراً نطاحاً من قبل، وقد أشهد صاحبه، ولم يضبطه فقتل رجلاً أو امرأة
 فالثور يرمم، وصاحبه أيضاً يقتل) وقد نقل ذلك تحت عنوان: (التشديد
 في العقوبة حتى شملت الحيوان).

= ونقل صورة أخرى تحت عنوان : (التشديد في الأوامر) [ص ١٤٤٨] حيث قال : (جاء في إنجيل متى وإنجيل مرقس ما يلي : وقد سمعتم أنه قيل للقديس : لا تزن ، وأما أنا أقول لكم : إن كل من ينظر إلى امرأة فيشتهيها فقد زنى بها في قلبه ، فإن كانت عينك اليمنى تعثر فاقطعها ، وألقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ، ولا يلقى جسدك كله في جهنم ، وإن كانت يدك اليمنى تعثر فاقطعها ، وألقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم).

وقد خفف الله تعالى على هذه الأمة حتى أصبح سمتها وسمة دينها اليسر والسهولة ، وصارت قاعدة من قواعد الشريعة : أن الحرج في العبادات مرفوع ، وأنه لا واجب مع العجز ، ولا محرم مع الضرورة ، وأن المشقة تجلب التيسير ، حتى اختص الله تعالى هذه الأمة بأنها لا تؤاخذ بما حدثت به نفسها ما لم تعمل أو تتكلم ، كما جاء في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال : (إن الله ﷻ تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به) [متفق عليه ، صحيح البخاري : ٢٣٩١ . صحيح مسلم : ١٢٧ ، واللفظ له] وهذا يدل على فضل الإسلام في نفسه ، وفضله على أهله ، فالإسلام أسمح الأديان في رفع المشقة عن العباد ، ومضاعفة الأجور لهم ، ومغفرة الذنوب . تنبيه :- مسألة اليسر والسهولة مما تختلف فيه الأفهام ، فينبغي ضبطها بأنها على أحد وجهين :

=الأول: أنها منصوبة في الشريعة (الكتاب - السنة) فإذا كان منصوباً عليها كانت محبوبة إلى الله ﷻ، مثال ذلك: الإفطار في السفر، وقصر الصلاة في السفر لعله السفر، ولحكمة رفع المشقة فإن الفطر والقصر أفضل في السفر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه.

الثاني: أن يكون التيسير والسماحة التي حكم بها قد قررها إمام أو عالم مجتهد يصلح الاجتهاد من مثله بتطبيق أصول وقواعد الشرع، ومنها قاعدة (المشقة تجلب التيسير) أو (الضرر يزال) أو نحو ذلك من القواعد فإذا جاء الحكم اليسير عن اجتهاد صحيح في تطبيق قواعد رفع الحرج، فإن هذا يكون من الدين الذي هو أحب إلى الله ﷻ من غيره، ولهذا كان سفيان الثوري رحمه الله يقول: (التشديد يحسنه كل أحد، وإنما العلم الرخصة تأتيك من الفقيه).

فإن تبين ذلك، فإن الناظر في أحكام الشريعة الإسلامية يجدها مبنية على السماحة واليسر في باب الطهارة وأحكام المياه، والآنية، وأحكام الصلاة والزكاة، والصيام، والحج.....الحج، وكلما كان الأمر أيسر كان أحب إلى الله تعالى، وهكذا كان الرسول ﷺ كما قالت عائشة رضي الله عنها: (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا) [صحيح البخاري: ٣٣٦٧] لأنه يحب ما يحبه الله تعالى، وأحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة.

قال الشعبي رحمه الله: (إذا اختلف عليك أمران فإن أيسرهما أقربهما إلى =

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (عليكم بالسييل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن] ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار، وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من [مخافة] الله إلا كان [مثله] كمثل شجرة يبس ورقها [فيينا هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحاتت عنها ورقها] إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحاتت عن هذه الشجرة ورقها، وإن اقتصاداً في [سييل] وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة) ^(١)

=الحق، لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:

١١٨٥] انضرة النعيم: ٤ / ١٤١٩.

والسماحة ليست فقط في الأحكام العملية، وإنما تشمل الأحكام العلمية الاعتقادية؛ لأن الإسلام دين الفطرة، ليس فيه تعقيدات كلامية، ولا مباحث فلسفية لا يفهمها إلا خواص الناس، بل كل أحد يفهم الإسلام عقيدة وشريعة إذا شُرح بعبارات سهلة.

وأما ما أحدث في هذه الأمة من الأقوال المتفرقة، ومما يسمونه الفلسفة الإسلامية أو التعقيدات التي لا تصلح لجمهور الأمة، فإن هذا بلا شك مما يجزم أنه ليس مما يحبه الله عز وجل؛ لأنه ليس من الحنيفية السمحة.

(١) هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه / ١٧٣٧٥، وابن بطة في =

=الإبانة/٢٥٠، وأبو نعيم في الحلية ١/٢٥٣، بنحوه وهذا الأثر في بيان فضل الإسلام، وأن من كان على الإسلام الحق، وهو السبيل والسنة فإن عمله يكون مقبولاً عند الله ﷻ ومن آثاره أن الله ﷻ يحط عنه خطاياها. ويعني بقوله: (عليكم بالسبيل والسنة): الزموا السبيل والسنة، والمراد بالسبيل: سبيل محمد ﷺ، وسبيل صحابته رضي الله عنهم، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ففي هذه الآية وحد الصراط، وجعله صراطاً واحداً، وسبيلاً واحداً وهو الذي يجمع أمور الإسلام على تفاصيلها وأمور السنة على تفاصيلها، وأما السبل الأخرى والأهواء فعلى كل سبيل منها شيطان يدعو الناس إلى دخوله.

مسألة مهمة:

ورد في سورة العنكبوت قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٦٩]، فجمعت فيها السبل، وفي الآية المذكورة أنفاً ذكر سبيل واحد، وهي التي في سورة الأنعام، حيث وحد الصراط فيها وهو السبيل، وكذا في أثر أبي رضي الله عنه فهل هناك تعارض بين هذه النصوص؟

الجواب: ليس هناك تعارض، ولكن السبيل المقصود به: سبيل الإسلام=

=والسنة، وهذا في داخله تفاصيل، ففيه سبيل الصلاة، وسبيل الزكاة وسبيل الصلة، وسبيل أعمال القلوب الخ مما يحتاج إليه الناس مفصلاً في أمور دينهم، وفي عباداتهم العلمية والعملية.

فيكون المراد بقوله تعالى: ﴿لَهْدِيئِهِمْ سُبُلَنَا﴾ المقصود بها: تفاصيل السبل وهي كلها سبيل واحد، وصراط واحد دل عليه قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ١٦]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾.

وقوله: (فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار...): يريد بذلك أن الفضائل التي جاءت في الأحاديث إنما يحظى بها من كان على السبيل والسنة، فقد جاء عنه ﷺ أنه قال: (عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله) صحيح سنن الترمذي: ١١٣٣٨.

فبين أبي ﷺ أنه إنما يحظى بهذا الفضل من كان على سبيل وسنة، وأما الذي يبكي وهو على بدعة فهذا لا ينفعه بكاءه ولا خشوعه ولا خشيته. فكثير من النصارى والقبوريين والمبتدعة يكونون ويخشعون، ولكن على غير هدى، وعلى غير سبيل وسنة، فلا يؤجرون على هذا البكاء ولا ينفعهم عند الله ﷻ، فليست العبرة بالبكاء والخشوع وإنما العبرة بما عليه العبد هل هو على سبيل وسنة فيؤجر، أما على بدعة وضلالة فلا ينفعه بكاءه وخشوعه.

ثم قال: (وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من مخافة الله إلا كان مثله كمثل شجرة ييس ورقها، فيينا هي كذلك إذ أصابتها الريح...): يعني أنه إذا كان على سبيل وسنة فإنه تتحات ذنوبه كما تتحات أوراق الشجر اليابس، وهذا كما جاء في الحديث: (يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة) صحيح سنن الترمذي: ١٢٨٠٥، وهذا يدل على عظم شأن التزام المنهج الذي خُص به النبي محمد ﷺ، وهو السبيل والسنة الذي كان عليه هو وصحابته رضي الله عنهم، فمن أراد أن ينجو فليرجع ببصره وبصيرته وقلبه إلى ما قبل حدوث تلك الفرق والأهواء، إلى الزمن الذي أجمع فيه المسلمون على العقيدة والسبيل والسنة، وهو زمن الصحابة رضي الله عنهم قبل حدوث الاختلاف، فليس منهم من ابتدع بدعة، بل نجاهم الله من البدع والمحدثات.

ثم قال: (وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة): وذلك أن الله ﷻ يبارك في قليل العمل إذا كان على سبيل وسنة وعلى وفق السنة، فإن الله يحبه ويحب صاحبه ويشبهه ويبارك له وينمي له عمله.

وأما إذا كان العمل على غير سبيل وسنة، فإنها حيثئذ تكون محدثات وبدع فيؤخذ عليها، ويكون عاصياً لله ﷻ بها متبعاً غير سبيل المؤمنين، فمهما =

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف يغبنون سهر الحمقى [وصيامهم]؟ [ولمقال] ذرة من بر مع تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من [أمثال الجبال] عبادة [من] المغترين) ^(١).

= كان العمل كبيراً وهو على غير هدى فإنه لا يؤجر عليه ؛ لأن العبرة ليست بكثرة العمل ، وإنما العبرة باتباع السنة. فربما عمل قليل على سنة يدخل صاحبه الجنة ، وعمل كثير على بدعة يدخل صاحبه النار ، والعياذ بالله.

ففي هذا الأثر بيان فضل الإسلام الصحيح ، الذي هو التزام بالسييل والسنة على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأن من التزمه بارك الله له بالعمل القليل ، وضاعف له الأجور ، بخلاف من خالف السييل والسنة من أهل البدع ، فإنه مهما اجتهد في العمل فإنه لا ينفعه ؛ لأنه يعمل على غير جادة وعلى غير أصل ، والله تعالى لم يبتل الناس بكثرة العمل ، وإنما ابتلاهم بحسنه ، قال تعالى: ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [المك: ٢٢].

(١) قوله: (وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، ...): هذا الأثر أخرجه الإمام أحمد في كتابه (الزهد) / ٧٣٧ - وأبو نعيم في (الحلية) ١/ ٢١١ ، وهو وإن كان في سنده جهالة الراوي =

=عن أبي الدرداء، إلا أن هذا الأثر تشهد له نصوص الكتاب والسنة. والآثار لا يتشدد في إثباتها، كما يتشدد في إثبات الأحاديث. وفي قول أبي الدرداء: (يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يرغبون سهر الحمقى وصيامهم): بيان لأثر الإخلاص وصحة المعتقد في قبول العمل ونمائه، فيقول: إن العبد قد لا يكتر من الصيام والصلاة النافلة ولكن مع ذلك معه تقوى - خوف من الله ﷻ - ومعه يقين - صدق في إيمانه وعقيدة صحيحة لا شبهة فيها ولا شك - فيكون أفضل ممن سهر ليله بالقيام، وأظماً نهاره بالصيام مع فقد هاتين الصفتين، أو مخالفته للسبيل والسنة.

- وهذا الأثر فيه أيضاً بيان درجة عالية، وهي أعلى درجات الدين، وهي الإحسان، وأن من عمل عملاً مشتملاً على برٍّ وتقوى، أكمل وأعظم ممن عمل عملاً وكان برُّ صاحبه وتقواه أقل من الأول؛ لأن الاعتبار في العبادات في أصلها بما يقوم في القلب من التقوى والإخلاص، ولهذا قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]. فدل ذلك على أن الاعتبار هو الإخلاص في القلب، وصدقه مع ربه ﷻ. والناس يتفاوتون في هذا، وهذا ما فضل به أبو بكر الصديق رضي الله عنه على سائر الأمة، فقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل في كتابه فضائل الصحابة ١١١٨/ بإسناد صحيح إلى بكر بن عبد الله المزني أنه قال: (إن =

=أبا بكر لم يفضل الناس بأنه كان أكثرهم صلاة وصوماً، إنما فضلهم بشيء كان في قلبه.

وهذا معنى كلام أبي الدرداء رضي الله عنه حكيم هذه الأمة عندما قال: (ولمقال ذرة من يرّ مع تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين) قوله: (ولمقال ذرة): أقل القليل. (من بر): عمل صالح متيقن على سبيل سنة. (مع تقوى): مع خوف من الله جل وعلا وعدم اغترار بالعمل. (ويقين): اليقين هو الصدق في الاعتقاد والصواب فيه فيكون (مقال ذرة من بر) مع هذين الشرطين (التقوى واليقين) أعظم وأفضل وأرجح (من أمثال الجبال عبادة من المغترين) الذين اغتروا بكثرة عبادتهم أو جهادهم، أو اغتروا ببذلهم في الدعوة ونحو ذلك. وهذه الكلمة من فقهه العظيم رضي الله عنه، وهكذا كان طريق الصحابة رضي الله عنهم.

لهذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم الخوارج بأنه: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) امتفق عليه، صحيح البخاري: ٣٤١٤ - صحيح مسلم: ٤١٠٦٤.

فليست العبرة بكثرة العبادة أو الجهاد أو الدعوة، وإنما العبرة بموافقة السبيل والسنة مع التقوى واليقين. وقد سئل الحسن البصري رضي الله عنه: لم كان الصحابة أفضل، مع أن من التابعين من هم أكثر منهم عبادة؟ فقال=

= ﷺ: (أولئك تعبدوا والآخرة في قلوبهم، وهؤلاء تعبدوا والدنيا في قلوبهم).

ومما سبق يتبين لنا فضل الإسلام على أهله، ومن ذلك ما اختصت به من بين سائر الأمم من:

١ - مضاعفة الأجور.

٢ - اختصاصها بيوم الجمعة.

٣ - سهولة الدين ويسره.

٤ - التجاوز عن حديث النفس.

٥ - رفع الإثم عن المخطئ والناسي والمكروه.

٦ - التوبة بشرطها - المسيرة -.

وغير ذلك من الخصائص الدالة على سعة فضل الله تعالى ورحمته بهذه الأمة.



باب وجوب الإسلام^(١)

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي

الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٢) آال عمران: ٨٥.....

(١) بعد أن بين المصنف رحمه الله في الباب الأول فضل الإسلام، وما يحظى به أهله إذا التزموا به واستقاموا عليه من الفضل العظيم في الدنيا والآخرة يبين هنا أن هذا الإسلام الذي ذاك فضله، ليس الدخول فيه دخولاً اختيارياً بل يجب الدخول في الإسلام على كل أحد بعد بعثة الرسول ﷺ، لقوله ﷺ: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار) اصحيح مسلم: ١١٥٣؛ وذلك حتى لا يُظن مع ذكر الفضائل أن المسألة اختيارية، بل الإسلام يجب الدخول فيه، سواء كان ذلك الدخول في الإسلام من ملل الكفر والوثنيات، أو كان الدخول في الإسلام كافة أصولاً وفروعاً من قبل أهله.

(٢) هذه الآية تدل على وجوب الدخول في الإسلام؛ لأن الله تعالى ذكر فيها أن من طلب ديناً غير دين الإسلام فلن يُقبل منه ذلك الدين، وهو في الآخرة من الخاسرين، فانحصر بعد ذلك أن يكون الإسلام هو المتعين على كل أحد أن يدخل فيه، لأنه إذا تعبد الله بيهودية أو نصرانية، أو مجوسية =

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا﴾^(١) لآل عمران: ١١٩.....

= أو صابئة أو نحوها من الملل والنحل والأهواء فإنه لا يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين. وقوله: ﴿وَمَنْ﴾ عامة تشمل الجميع ذكراً وأنثى حراً وعبداً، عربياً وعجمياً، إنسياً وجنياً، فدل هذا على وجوب الدخول في الإسلام الخاص الذي بُعث به النبي ﷺ.

وهكذا أيضاً في المعنى الأخص، وهو من ابتغى عملاً ليس هو من الأعمال التي أمر الله جل وعلا بها، وجاءت بها السنة مثل المحدثات المختلفة والعقائد المتنوعة التي أحدثت في هذه الأمة مثل عقيدة الخوارج، والمرجئة والمتصوفة، والقدرية.... ونحو ذلك، فإنه لن يقبل منه، وهو سوف يخسر بحسب ما فعل. فقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، الخسارة هنا بحسبها:

أ) قد تكون خسارة كبرى: بأن يخسر الجنة، ويدخل النار، ويكون من المخلدين فيها.

ب) وقد تكون خسارة صغرى: بأن يخسر الدخول في الجنة أولاً والسلامة من العذاب مطلقاً، ولكن يعذب بقدر ما عنده من مخالفة إن لم يغفر الله له ويتجاوز، ثم يدخل الجنة.

(١) ما المراد بالإسلام في هذه الآية هل هو العام أم الخاص؟ =

= ذكر بعض أهل العلم أن المراد بالإسلام في هذه الآية: الإسلام العام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، وإخلاص الدين لله تعالى، وهو دين جميع الأنبياء من لدن نوح عليه السلام إلى عيسى عليه السلام. ولهذا نقل ابن القيم في سبب نزول هذه الآية ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما، أنه افتخر المشركون بأبائهم، فقال كل فريق: لا دين إلا دين آبائنا، وما كانوا عليه، فأكذبهم الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ يعني الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو دين الأنبياء من أولهم إلى آخرهم، ليس لله دين سواه. للتفسير القيم للإمام ابن القيم ص ٢٠١.

- واستدل بعض العلماء بهذه الآية على الإسلام الخاص الذي بُعث به النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والذي لا يُقبل من أحدٍ غيره بعد بعثته، وإن كان على دين النبي السابق، فلا يُقبل منه إلا الإسلام الذي هو شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومن استدل بها على الإسلام الخاص الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله. فالآية لها عموم وخصوص، فهي عامة في جميع الديانات الشرعية التي أنزلها الله تعالى، فلا يقبل الله من جميع الأمم إلا الإسلام. وهي خاصة بهذا الدين بعد أن نسخ الله الأديان السابقة، وختمها بهذا الدين الذي أرسل به محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ للمائدة: ٤٨.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾: هذا خبر، فإذا كان الدين =

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا

السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(١) [الأنعام: ١٥٣].....

=عند الله هو الإسلام، فإن من عبد الله بغير الإسلام لم يكن مطيعاً لربه لأنه لم يحصل له تحقيق الدين لله ﷻ، والدين: هو الذل والخضوع لله ﷻ، فمن عبد الله باليهودية، أو النصرانية، أو أي ملة أخرى، كان عاصياً لله ﷻ مخالفاً لهذه الآية، فدل ذلك على وجوب الدخول في الإسلام؛ لأن الدين انحصر فيه، وهذا ظاهر من الآية.

(١) هذه الآية هي آخر الوصايا العشر التي في سورة الأنعام، وهي ظاهرة الدلالة على وجوب الدخول في الإسلام، حيث أمر الله ﷻ فيها باتباع صراطه المستقيم، والصراط المستقيم: ذكر الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - بأنه فُسِّرَ في هذه الآية بأنه السُّنة، وأنه الإسلام والقرآن، وأنه النبي محمد ﷺ، وهذه كلها متلازمة، وذلك لأن الدخول في الإسلام يقتضي العمل بالقرآن والسنة، ومتابعة النبي ﷺ فيما أخبر به عن ربه جل وعلا.

- كما دلت الآية على أن اتباع الصراط الذي هو الإسلام والسنة واجب بأمر الله جل وعلا، وأن اتباع غيره من الأهواء والشبهات والبدع محرم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾. فهذا أمرٌ منه بسلوك طريق الإسلام والسنة، وترك ما سواه من النحل والبدع والمذاهب=

قال مجاهد: السبل: البدع والشبهات^(١).....

=والفرق، لأنها كلها تؤدي إلى الهلاك، فمن أراد النجاة يمشي مع الصراط، ولا يلتفت يمنة ولا يسرة.

(١) وقوله: (قال مجاهد: السبل: البدع والشبهات): أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٥ / ٣٩٧ وهذا من تفسير اللفظ ببعض آحاده، واللفظ جامع فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾: أي جميع السبل التي هي غير الإسلام فإن اتباعها ضلال.

والناس في اتباع السبل على فريقين:

(أ) إما أن يتبع سبيلاً منافياً للإسلام بالكلية كاليهودية والنصرانية والبوذية ونحوها، فهذا كافر.

(ب) وإما أن يكون أصله مسلماً، ولكن اتبع الأهواء والبدع، فهذا بدعته قد تكون مكفرة مخرجة عن الملة، وقد تكون غير مكفرة، ولكن تقدر في دينه، وتنقص من إيمانه، وإن كان لا يزال مسلماً.

- فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾: عام في جميع السبل، سواء كانت كفرية أو بدعية، فإن العبد منهي عنها؛ لأنها تميل به عن دين الإسلام إما كلياً أو جزئياً.

يقول الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - تعليقا على كلام مجاهد رحمته الله: =

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) أخرجاه. وفي لفظ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)^(١).....

=(نعم هي البدع والشبهات التي تتفرق بأصحابها، كل حزب بما لديهم فرحون. قال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]. وهذا من تمام العقوبة، أن الإنسان يفرح بالباطل، وإذا فرح بالباطل لم يتركه). اهـ.

(١) الحديث الأول متفق عليه. صحيح البخاري: ٢٥٥٠ - صحيح مسلم: ١٧١٨ والحديث الثاني أخرجه مسلم في صحيحه: ١٧١٨.

وهذان الحديثان ميزان الأعمال الظاهرة للعبد، كما أن حديث: (إنما الأعمال بالنيات....) ميزان الأعمال الباطنة، فمن صحت نيته في باطنة واستقام في ظاهرة على وفق السنة، فإنه حينئذ مقبول العمل، وأما إذا فات أحدهما فليس بمقبول العمل.
- فمن فاته الإخلاص كان عمله رياءً.
- ومن فاته المتابعة كان عمله بدعة.

ما الفرق بين الحديثين؟

قوله صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا...) : يشمل الذي ابتدع البدعة=

=وأحدث الحدث ، ولو لم يعمل بذلك. فمن أحدث الحدث فهو مردود عليه ، ولن يُقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين.

وقوله ﷺ : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا....): هذا يشمل الذي يعمل بالبدعة ولو لم يحدثها.

والبدع على نوعين:

(أ) بدع في الدنيا: وهذه غير داخلة في النهي ، ولهذا توسع الصحابة في أمور الدنيا على حسب المصلحة.

(ب) بدع في الدين: وهذا هو المردود جملة واحدة، فلا يجوز لأحد أن يحدث في الدين، سواء كان الحدث في الأمور العلمية (الاعتقادية) أم الأمور العملية. فالبدع كلها مذمومة.

- ما هو تعريف البدعة؟

عرفت البدعة ب: ما أحدث على خلاف الحق المتلقى عن رسول الله ﷺ في قول أو عمل أو اعتقاد، وجعل ذلك هدياً ملتزماً وطريقاً مسلوفاً. ويتحصّل من هذا التعريف أربعة أمور:

الأول: أن البدعة قد تكون في الأقوال، أو الأفعال، أو الاعتقاد.

الثاني: أن البدعة لم تكن في عهد النبي ﷺ ولا في عهد صحابته.

الثالث: أن البدعة يقصد بسلوكها التقرب إلى الله ﷻ.

الرابع: أن البدعة ملتزمة، يعني أنه جعلها طريقة تضاهي الطريقة=

=المشروعة في الالتزام، أما إذا لم يلتزم بالقول أو العمل فيكون خلاف السنة.

وتنقسم البدع من حيث الحكم إلى:

(أ) بدعة كفرية:

١ - إما عقدية: ومثال ذلك: سلب الرب ﷻ عن جميع صفاته، كما فعل الجهم بن صفوان.

٢ - أو عملية: مثل الاستشفاع بالموتى، وهو شرك أكبر مخرج عن الملة، وهو بدعة محدثة في هذه الأمة.

(ب) بدعة دون الكفر:

١ - إما عقدية: كبدع الإرجاء وبدع الخوارج، وتأويل الصفات، وبدع القدرية... الخ.

٢ - أو عملية: مثل الصلوات المبتدعة، والأذكار المبتدعة وغير ذلك وهذه كلها لا تصل إلى الكفر والشرك.

والبدع العملية قسمان:

(أ) بدع أصلية: وهي ما أحدث وليس له أصل يتبعه مثل: إحداث بدعة الموالد أو المآتم، أو نحو ذلك مما لم يكن له أصل في الشريعة.

(ب) بدع إضافية: أصل العمل مشروع، ولكن زيد عليه أشياء صارت بدعة، مثل: الاجتماع على الذكر على نحو ما، أو التزام رفع اليدين بالدعاء بعد الفريضة.

=

وللبخاري^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي. قيل: ومن أبي؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي)^(٢).....

=مسألة: ما مناسبة هذا الحديث لباب (وجوب الدخول في الإسلام)؟
مناسبته أنه يجب على العبد أن يدخل في الإسلام الصحيح، ويكون متابعاً للنبي ﷺ، وهو ما يعبر عنه أهل العلم بتوحيد المرسل.
لأن هناك توحيدان كما ذكر بعض أهل العلم - وهما:
أ) توحيد المرسل: وهو أفراد الله تعالى بالعبادة، سمي بهذا الاسم، لأن الله ﷻ هو الذي أرسل الرسل.
ب) توحيد المرسل: يعني طاعة النبي ﷺ، واتباعه فيما جاء به من عند الله تعالى.
إذاً لا يكون دخول العبد في الإسلام دخولاً صحيحاً كما أمر إلا بمتابعة النبي ﷺ، والحذر من البدع والمحدثات، وبهذا يظهر مناسبة الحديث للباب، والله أعلم.

- (١) صحيح البخاري: ٦٨٥١، بلفظ (قالوا: يا رسول الله، ومن أبي؟).
(٢) هذا الحديث فيه حثٌ على الدخول في الإسلام، فمن أراد الجنة دخل في الإسلام، إذ ليس للجنة طريق إلا الإسلام الذي جاء به الرسول ﷺ =

=ولا يمكن الدخول في الإسلام إلا بطاعة الرسول ﷺ، فإذا لم يطع الرسول ﷺ ويلتزم بسنته فإنه لم يدخل في الإسلام كله، والله تعالى أمر بالدخول في الإسلام كله، في قوله ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَتُوا آدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ١٢٠٨].

ففي هذه الآية أمر من الله ﷻ للمؤمنين أن يدخلوا في ﴿السِّلْمِ كَآفَّةً﴾: أي جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئاً، وأن لا يكونوا ممن اتخذ إليه هواه، بل يكون هواه تبعاً للدين. تفسير السعدي باختصار ١/٢٥٥.

وفي هذا الحديث تعظيم لطاعة الرسول ﷺ، وأن من أطاعه فإنه موعود بدخول الجنة: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي).

وقد جاء الأمر بطاعة الرسول ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعاً في القرآن الكريم من ذلك:

- قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ١٨٠].

- وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٦٣].

وقوله ﷺ: (كل أمتي) ما المراد بالأمة هنا، هل هم أمة الدعوة، أم أمة الإجابة؟

البعض قال: أن المراد أمة الدعوة وهي من بعثة النبي ﷺ إلى قيام

=الساعة، فهذه تُسمى أمة الدعوة، لأن النبي ﷺ بُعث إليهم يدعوهم إلى الإسلام، فيكون المراد: أنه لا يدخل الجنة إلا من كان على الإسلام فمن لم يستجب للرسول ﷺ، ولم يكن مسلماً فلا يدخل الجنة، وعبر بقوله: (يدخلون الجنة) للتشويق في التزام الطاعة. ولكن هذا ليس بجيد.

والقول الثاني: وهو الصحيح: أن المراد بقوله: (أمتي): أمة الإجابة وهم أهل الإسلام، كلهم يدخلون الجنة إلا من أبى دخول الجنة، وذلك بعضيان الرسول ﷺ، وعلى هذا كل من عصى الرسول ﷺ لا يدخل الجنة؛ لأنه حينئذ يكون معرضاً للوعيد.

لكن الدخول إلى الجنة على قسمين:

(أ) دخول أولي: أي بعد أن ينقضي الناس من الحساب، فإنهم يدخلون الجنة دخولاً أولياً.

(ب) دخول متأخر: وهؤلاء هم من شاء الله تعالى أن يعذبهم من أمة محمد ﷺ فيدخلون النار، ويعذبون بقدر ذنوبهم، ثم يخرجون منها ويدخلون الجنة.

وعلى هذا فيكون معنى الحديث: (كل أمتي): أمة الإجابة، (يدخلون الجنة): دخولاً أولياً. (إلا من أبى): فلا يدخلها دخولاً أولياً، وإنما يتأخر وإذا تأخر فإنه من أهل الوعيد، يعذب في النار بقدر مخالفته وعصيانه للرسول ﷺ.

وفي الصحيح^(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ

= ويقابل هذا في النصوص : التحريم :

- تحريم دخول الجنة ، وذلك مثل قوله ﷺ : (لا يدخل الجنة قاطع رحم)
اصحيح البخاري : ٥٦٣٨ - صحيح مسلم : ٢٥٥٦ ، وقوله ﷺ : (لا يدخل
الجنة تمام) اصحيح مسلم : ١٠٥ . ونحوها .

- أو تحريم دخول النار مثل قوله ﷺ : (فإن الله حرم على النار من قال لا
إله إلا الله يبتغي بها وجه الله) اصحيح البخاري : ٢٤١٥ . ونحو ذلك .
فالتحريم في النصوص أيضاً قسمان :

(أ) تحريم أبدي : يحرم عليه أن يخرج من النار أبداً ، أو يحرم عليه دخول
الجنة أبداً ، وهذا في حق الكافر والمنافق نفاقاً أكبر .

(ب) تحريم مؤقت : يحرم عليه الجنة إلى زمن ، ثم يدخلها إذا كان من أهل
المعاصي من الموحدين ، ومنهم من تحرم عليه النار أبداً .

وبهذا تستقيم النصوص ، ويتبين غلط الخوارج ، وأهل البدع الذين فهموا
من نفي الدخول مطلق الدخول ، وفهموا من التحريم مطلق التحريم
فكفروا المسلمين بالكبائر بسبب جهلهم ، وعدم رد النصوص المتشابهة إلى
النصوص المحكمة في القرآن والسنة .

(١) صحيح البخاري : ٦٨٨٢ .

قال: (أبغض الناس إلى الله ثلاثة^(١)، مُلحدٌ في الحرم^(٢)،

(١) قوله: (أبغض الناس إلى الله ثلاثة): فيه إثبات صفة البغض لله تعالى، وأنه من صفات الأفعال، فهو يبغض كما أنه يحب ﷺ، يبغض أهل الشر والكفر، ويحب أهل الخير والإيمان.

وقوله: (ثلاثة): لا مفهوم للعدد، ولا يعني أن هؤلاء هم الأبغض فقط وإنما يعني أن هؤلاء أشد بغضاً.

وكون هؤلاء المذكورين في الحديث هم أشد الناس بغضاً عند الله، دليل على أن فعلهم الذي فعلوه من أكبر الكبائر.

(٢) قوله: (ملحدٌ في الحرم): الحرم: المراد به الحرم المكي، وكذلك الحرم

المدني، فمكة حرمها إبراهيم ﷺ والمدينة حرمها الرسول ﷺ بقوله:

(المدينة حرمٌ ما بين عيرٍ إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه

لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) صحيح مسلم: ١١٣٧٠.

والإلحاد: هو الميل عن طاعة الله إلى معصية الله.

وقد اختلف أهل العلم في المراد بالإلحاد:

- فمنهم من فسر الإلحاد بالشرك بالله ﷻ والكفر؛ لأن هذا أعظم الإلحاد

وهو الميل عن الطريق الصواب.

- ومنهم من فسر الإلحاد بالقتل وسفك الدماء.

- ومنهم من فسر الإلحاد في الحرم بفعل الكبائر والمعاصي، وإحداث =

=المحدثات والبدع.

- كما فسر بأنه كل ما نهى الله جل وعلا عنه نهى تحريم، سواء كان شركاً أو ما دونه، فإنه إحداد وميل عن الصراط المستقيم، وهذا التفسير الأخير هو الذي اختاره ابن جرير وغيره، وهو التفسير الصحيح؛ لأن التخصيص لا وجه له، وقد قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقُهُ مِنْ عَذَابِ الْإِيمِ﴾^١ للحج: ١٢٥. انظر: تفسير الطبري ٩/١١٣٢.

يقول الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - في معنى هذه الآية: (مجرد الإرادة، فلو أنه نوى بقلبه تنفيذ شيء في الحرم، فإن الله يذقه العذاب الأليم، حتى ولو لم ينفذ، فكيف إذا نفذ؟ الأمر أشد - والعياذ بالله -). اهـ. امن شريط (شرح فضل الإسلام).

وهنا مسألة مهمة وهي: ما حدود الحرم المكي الذي فيه تضعيف الصلاة بمائة ألف صلاة، وتضعيف الحسنات، وشدة فعل السيئات؟
الجواب: أن حدود الحرم المكي ما كان داخل الأميال المحيطة بمكة من جميع الجوانب، فكل ما أدخلته الأميال المعروفة فهو حرم فيه فضل الصلاة، وفيه النهي عن الإحداد والذنب..... الخ.

ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ الإسراء: ١.

وقد أسرى به ﷺ من بيت أم هانئ، كما هو قول أكثر المفسرين، فهذا =

ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية^(١) ومُطلبُ دم امرئ بغير حق.....

=دليل على أن المسجد الحرام ليس خاصاً بمسجد الكعبة المدار حول الكعبة، بل كل مكة حرم.

ومسألة أخرى: هل الحسنات تضاعف جميعاً أم الصلاة فقط؟ وهل السيئات تضاعف في الحرم أم لا؟

الجواب: أصح أقوال العلماء أن التضعيف بمائة ألف إنما هو خاص بالصلاة؛ لأنه هو الذي ورد فيه الدليل، وهو قوله ﷺ: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام) صحيح الترغيب والترهيب: ١١٧٢. وفي رواية أخرى: (صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه) صحيح الترغيب والترهيب: ١١٧٣.

أما عموم الحسنات، فإن الطاعة فيه لشرف المكان أفضل من الطاعة في غيره، والسيئة - باتفاق أهل العلم - أشد من السيئة في غيره، لكن لا تضاعف السيئة في الكم، وإنما في الكيف؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا^ط وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ الأنعام: ١٦٠.

(١) قوله ﷺ: (ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية): هذا هو الشاهد من هذا=

=الحديث للباب، وهو أن كل المحدثات التي أحدثت في الدين، وكل ما خالف به الناس منهج الرسول ﷺ وطريقة أصحابه ﷺ فإنما راموا طريقة من طرق أهل الجاهلية، مصداقاً لقوله ﷺ: (لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه....) اصحيح البخاري: ٣٢٦٩. فيدخل في الجاهلية كل جاهلية قديمة أو حديثة سواء من جاهلية العرب، أو جاهلية أهل الكتاب من اليهود والنصارى. وقوله: (مبتغ): يعني مريدٌ عن قصد وطلب.

وقوله: (في الإسلام): أي في زمن الإسلام من بعد بعثة الرسول ﷺ إلى قيام الساعة.

وقوله: (سنة الجاهلية): معنى كلمة (سنة) لغة: الطريقة والعادة، فكل من اعتاد شيئاً وجعله طريقة له قيل: هذه سنة فلان.

ولكل أمة سنة: عادة وطريقة كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ لآل عمران: ١١٣٧. أي طرائق وعادات لكل أمة. وهذه السنة قد تكون في العقائد، أو المعاملات، أو العادات الاجتماعية..... الخ.

وأما في الإسلام، فلا تطلق السنة إلا على أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية، فنقول: سنة النبي ﷺ، وكذلك تطلق على من كان على سنته مثل: سنة الخلفاء الراشدين.

فإذا قوله: (ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية): يشمل إرادة هذا الإنسان=

=بعد ظهور الإسلام أي طريقة وهدى من هدى أهل الجاهلية الذي أبطله الإسلام، وجاء محله بسنة من السنن وهدى من الهدى.

وقوله: (جاهلية): هو لفظ يعود إلى الجهل، وقد ذكر في القرآن الكريم في غير موضع. كقوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا

لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥٠]، فهذه الجاهلية مردها إلى الجهل وهو عدم العلم بالشرع، وعدم العلم بالكتاب المنزل، وعدم العلم بما يستحقه الله ﷻ.

وقد نقل إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله كلاماً نفسياً لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله يبين فيه المراد بقوله رحمته الله: (سنة جاهلية)، وقد

ذكر هذا الكلام في لاقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم: ١/٢٢٧.

بنحوه، فقال: (قوله: (سنة جاهلية): يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة - أي في شخص دون شخص - كتابية أو وثنية أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون).

وبيان كلام شيخ الإسلام: أن الجاهلية قد تكون:

(أ) مُطلقة: لا تقيد بزمان أو مكان أو شخص، إنما هي جاهلية مطلقة،

وهذه الجاهلية المطلقة لا يصح إطلاقها إلا فيما قبل بعثة النبي رحمته الله، أما

بعد البعثة فلا توجد جاهلية مطلقة؛ لأن الجهل رفع بإنزال القرآن الكريم،

وعلم الناس، ولا يزال في هذه الأمة من هو قائم بأمر الله تعالى إلى قيام

الساعة، كما قال رحمته الله: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا =

= يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) صحيح مسلم: 11920.
 وإذا كان كذلك فإن الجاهلية المطلقة قد ارتفعت ، فلا توجد جاهلية مطلقة
 حتى في قرن من القرون. ولذا أخطأ من وصف قرناً كاملاً بأنه في جاهلية
 كقول بعضهم (جاهلية العصر) أو (جاهلية القرن العشرين) ونحو ذلك ؛
 لأنه ليس موافق لما دلت عليه النصوص ، وفسره أهل العلم.

(ب) مقيدة : أي مقيدة بزمن أو مكان أو شخص.

- أما الجاهلية المقيدة بزمان : مثل الزمان الذي كان قبل بعثة النبي محمد
 ﷺ فإننا نستطيع أن نقول : إنهم كانوا في جاهلية باعتبار زمانهم.

- وأما الجاهلية المقيدة بمكان : يعني أن تكون الجاهلية في مكان دون مكان
 وهذا كثير بحسب ظهور السنة وخفائها وبحسب ظهور تلك الطائفة
 المنصورة في ذلك المكان بعينه وعدم ظهورها ، فقد تكون في مكان دون آخر
 بحسب ما الناس فيه من الاهتمام بالقيام بأمر الله تعالى أو عدمه.

- وأما في الجاهلية المقيدة بشخص دون شخص : وهذا كثير ، فقد يكون
 المسلم فيه بعض خصال الإيمان ، وبعض خصال الجاهلية ، أو يجتمع فيه
 إيمان وبدعة ، ودليل ذلك : ما روي في صحيح البخاري : 130 ، عن المعرور
 قال : (لقيت أبا ذرّاً بالربذة ، وعليه حُلَّةٌ ، وعلي غلامه حُلَّةٌ ، فسألته عن
 ذلك فقال : (إني ساببت رجلاً فغيرته بأمه ، فقال لي النبي ﷺ : (يا أبا ذر
 أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت =

=أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم).

وعلى هذا فقد يجتمع في المسلم إسلام ومعصية، وإيمان وبدعة - ما لم يبلغ حد الكفر - فتكون هذه المعصية والبدعة من خصال الجاهلية وسنة الجاهلية. ومن خصال الجاهلية، وسنن الجاهلية: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والتعصب للقبيلة وللجنس، والنخوة بغير حق، والتقليد المذموم.... وغيره كثير مما فشا بين المسلمين، والله المستعان.

وإذا نظرنا إلى هذه الأمة وجدنا أنها ما أصيبت إلا لأنها فتحت أبواب سنة الجاهلية على الناس، فعبادة الأوثان، وعبادة القبور وتعظيمها، وتعظيم الأموات، ودعاؤهم من دون الله، كل هذا ما جاء إلا عن طريق ابتغاء سنة الجاهلية.

فإذا المنهج الذي تميز به المتبعون للسلف الصالح، أنهم لم يكونوا يبتغون في الإسلام سنة جاهلية، بل يخالفونها ويستمسكون بما أمرهم به رسول الله ﷺ. ثم قال شيخ الإسلام - ابن تيمية - : (كتابية أو وثنية، أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون): يقصد أن سنة الجاهلية ليست خاصة بجاهلية العرب، بل كل مخالفة لما جاء به المرسلون، سواء كانت موروثه من النصرى، أو اليهود، أو عبَاد الأوثان، فإنها من سنن الجاهلية.

وهذه الجملة مهمة في الحديث، وهي المقصد المهم في أنه يجب على كل =

لِيَهْرِيقَ دَمَهُ^(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.....

=مسلم أن يتعد كل البعد عن كل سنن الجاهلية، وأن يكون متبعاً لسنة النبي ﷺ، والاطلاع على كتاب (مسائل الجاهلية) للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حيث ذكر فيه (١٢٨) مسألة من مسائل الجاهلية مما خالفهم فيها رسول الله ﷺ، ولو جمعت المسائل التي أخذها أهل الإسلام المعاصرون من الجاهليات المختلفة لبلغت أكثر مما ذكره إمام الدعوة ﷺ في هذا المصنف، فدخل ذلك في مسائل العقائد والمعاملات، والعبادات، والسلوك حتى في أصغر المسائل ابتغيت سنة الجاهلية حتى في الأكل والشرب، وفي طريقة اللباس، مما قد لا يهتم به المرء، لكن ابتغوا في الإسلام سنة الجاهلية، وهذا من أعظم المصائب التي تبدل حب المؤمن لدينه ورسوله ﷺ شيئاً فشيئاً والله المستعان.

(١) قوله ﷺ: (ومطلب دم امرئ بغير حق ليهرق دمه).

قوله: (ومطلب) بالتشديد، والمراد من يبالغ في الطلب.

وقوله: (بغير حق) احتراز عن من يقع له مثل ذلك، لكن بحق كطلب القصاص مثلاً.

وقوله: (ليهرق دمه) بمعنى: ليقته.

وقد تمسك بهذا الحديث من قال: إن العزم المصمم يؤخذ به. افتح الباري:

=

١٢/٢٦٦٢.

قال ابن تيميه: قوله (سنة الجاهلية): (يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة، أي: في شخص دون شخص كتابية، أو وثنية، أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون).

وفي الصحيح^(١) عن حذيفة رضي الله عنه قال: (يا معشر القراء.....

ويراد بهذا الجزء من الحديث أن من أشد الناس بغضاً إلى الله تعالى من يستحل الدماء المعصومة، فقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣].

ويدخل في ذلك دماء المسلمين، والمعاهدين من الكفار، والمستأمنين والذميين، فلا يجوز استحلال دمائهم ولا يُقال: كافر حلال الدم، لأنه عصم بالعهد والميثاق، وقد قال رضي الله عنه: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً) اصحيح البخاري: ٢٩٩٥.

فالدم المعصوم لا يجوز الاعتداء عليه، وهو من أكبر الجرائم. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٦٩].

(١) أي في صحيح البخاري: ٦٨٥٣.

استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً^(١)،

(١) قوله (يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً): هذا الأثر مروى

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه كان يدخل المسجد، ويقف على حلق التدريس الذين كانوا يتعلمون القرآن، فيقول لهم: (إن استقمتم فقد سبقتم سبقاً بعيداً): أي إن استقمتم على القرآن والعمل به، إذ ليس المقصود من قراءته أن يحفظه ويجوده ليقال: مقرأء.

وإنما المقصود: التمسك بالقرآن والعمل به؛ فالذي يقرأ القرآن ولا يتخلق به فهذا قد انحرف عنه؛ لأن القرآن هو الصراط المستقيم الذي من تمسك به نجا، ومن حاد عنه هلك وضل.

و(القراء): هم الصفوة، وقد كان يُطلق اسم القراء على حفظة القرآن وعلى طلبة العلم، كما قال رضي الله عنه: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله) اصحيح سنن أبي داود: ١٥٤٢. فالأقرأ هو الأعلم بكتاب الله تعالى. وعلى هذا يكون القراء في كل زمان هم الأفقه، وليسوا الأكثر قراءة.

و(الاستقامة): هي سلوك الطريق المستقيم، وهو طريق واحد لا يتعدد والقراء هم القدوة، فإذا أخذوا يميناً وشمالاً من الأهواء والبدع والآراء المختلفة فإنه لا شك يفسد الناس؛ لأن الناس إنما يكونوا صالحين بعلمائهم وطلبة العلم عندهم، وقرائهم، ولهذا كان من الكلام الحسن للحسن البصري رضي الله عنه أنه خاطب القراء في الكوفة فقال لهم: (يا ملح الأرض لا =

فإن أخذتم يمينا وشمالاً لقد ضللتهم ضلالاً بعيداً).

وعن محمد بن وضاح^(١) أنه كان يدخل المسجد.....

=تفسدوا؛ لأنه إن فسد الملح لم يؤكل الطعام).

وهذا صحيح، وهو من بالغ فقهه وغنايته، فإن فساد القراء وطلبة العلم يترتب عليه فساد الجماعة، وذلك أن عامة الناس لا يلزمهم بالاستقامة إلا شيئان:
الأول: قوة السلطان.

والثاني: قوة أهل العلم واجتماعهم.

فإذا كان القراء تفرقوا واجتهدوا إلى أقوال كثيرة، فإن أثر ذلك على الناس، وعلى الدين، وعلى الاستقامة سيكون أبشع الأثر.
لذا ينبغي في الحقيقة على كل من طلب العلم أن يحرص على الاستقامة بمعناها الواسع: الاستقامة في سلوك منهج السلف الصالح.
الاستقامة في العمل.

الاستقامة في حفظ اللسان والجوارح.

الاستقامة في أمور العلم والعمل، وتجنب الهوى. يكن الأمر في المستقبل إلى خير.

(١) محمد بن وضاح القرطبي، محدث الأندلس، كان عالماً زاهداً ورعاً، له كتاب [البدع والنهي عنها] توفي سنة ٢٨٧هـ. لانظر ترجمته في كتاب سير أعلام

النبلأ ١٣ / ١٤٤٥.

فيقف على الخلق فيقول: فذكر^(١) وقال^(٢): أنبأنا ابن عيينة، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق قال: قال عبد الله - يعني ابن مسعود -: (ليس عام إلا والذي بعده شر منه، لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، ولكن ذهاب علمائكم وخياركم، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويُثلم)^(٣).

(١) هذا الكلام متعلق بالأثر السابق وهو كلام حذيفة رضي الله عنه، فيشير الإمام محمد بن عبد الوهاب هنا إلى أن أثر حذيفة رضي الله عنه موجود في كتاب البدع والنهي عنها لابن وضاح برقم ١٧، وأنه ذكر في أول الرواية أن حذيفة رضي الله عنه كان يدخل المسجد ويقف على الخلق - أي حلق القراء أو حلق طلبة العلم - فيقول: (يا معشر القراء.... الخ).

(٢) (وقال): أي محمد بن وضاح في كتابه للبدع والنهي عنها برقم ١٨١ وإسناده ضعيف، لضعف مجالد.

(٣) هذا الأثر من ابن مسعود رضي الله عنه فيه فقه عظيم، يبين فيه أن كل عام يكون ما بعده شر منه، وهذا كما جاء في حديث أنس لما جاءوا يشكون إليه الحجاج، وما يلقون من الظلم قال: (اصبروا فإنه لا يأتي عليكم عام أو يوم إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ريكم سمعته من نبيكم ﷺ) =

= [إسناده صحيح. (المستد: ١٢٣٤٧)]. فالشر يزيد كلما تأخر الوقت.

ثم يبين سبب زيادة الشر، فقدم لذلك بأسلوب فيه تشويق فقال: (لا أقول عام أمطر من عام): يعني أن المطر سيقبل (ولا عام أخصب من عام): بمعنى أن المراعي ستقبل، (ولا أمير خير من أمير): يعني أمير هذه السنة يكون خيراً من أمير السنة المقبلة، وهكذا، لم يذهب إلى هذا، لأن هذه مسائل يداولها الله ﷻ، وييده تصريف الأمور سبحانه، ثم فسر ابن مسعود رضي الله عنه سبب زيادة الشر فقال: (ولكن ذهاب علمائكم وخياركم): وهذا من عظيم فقهه وعلمه، إذ علم أن حقيقة الشر إنما تكون في ذهاب الدين بذهاب العلماء.

وذهاب العلماء إما:

- بموتهم، وقد أخبر النبي ﷺ عن فقد العلم بموت العلماء فقال: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا) متفق عليه. صحيح البخاري: ١٠٠ - صحيح مسلم: ٢٦٧٣.

- أو بقلتهم ومزاحمتهم بأقوام يقيسون الأمور بأرائهم.

وهذا هو معنى قول ابن مسعود: (ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بأرائهم فيهدم الإسلام ويُتلم).

وقد حدث هذا أول ما حدث في زمن الصحابة رضي الله عنهم، لما حدثت بدعة =


=الخوارج قاسوا الأمور بعقولهم وقدموها على ما دلَّ عليه الدليل ، وهكذا فعلت المرجئة والقدرية ، ففتح باب شر على الأمة الإسلامية ، وهدم الإسلام في أزمنة كثيرة وتُلم ، وما دخل على المسلمين من شر بمقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثم قتل علي رضي الله عنه إلا بسبب الأقيسة الفاسدة وتقديم الرأي على الشرع ، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وليس المقصود بـ (هدم الإسلام) : القضاء عليه ، وانقراضه فإن الإسلام باق بحفظ الله له لكن هُدم الإسلام في نفوس كثير من المسلمين بسبب هذه المناهج القياسية التي تقيس بالآراء والعقول.

ومن الأمثلة على ذلك في وقتنا المعاصر: إنكار الدكتور حسن الترابي - أستاذ الحقوق الدستورية في الجامعة السودانية - نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان ، وعندما قيل له : كيف تنكر حديثاً متواتراً؟ قال : أنا لا أناقش الحديث من حيث سنده ، وإنما أراه يتعارض مع العقل ويُقدم العقل على النقل عند التعارض. للعقلانيون أفراخ المعتزلة / علي بن حسن الحلبي ص ١٧١.

ومن الأمثلة أيضاً ما نقله محمد بن حامد الناصر في كتابه : للعصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٠٤ ، ١٢٠٥ عن الدكتور محمد عمارة ، حيث نقل عنه قوله في كتابه : للإسلام وقضايا العصر: (إن كون الشريعة الإسلامية هي خاتمة الشرائع السماوية للبشر ، إنما يعني بلوغ البشرية سن =

=الرشد، بما يعينه الرشد من رفع وصاية السماء عن البشر). اهـ.
وغير ذلك كثير مما ابتليت به الأمة في هذا العصر، ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم.

ومعنى التلم في الإسلام: هو خروج أناس إلى البدع والأهواء، فتنثلم
السنة في نفوس المسلمين، فيقل العمل بها في واقع المسلمين.

يقول د. ناصر العقل: (ويدخل في معنى قول ابن مسعود ): (ثم يحدث
أقوام يقيسون الأمور بأرائهم): الذين أخذوا العلم الشرعي من أهل
زماننا، ولكن أخذوه على غير أصول صحيحة، وعلى غير مناهج سليمة
فصاروا إن أفتوا أفتوا بغير علم، وصاروا لا ينفعون أنفسهم بعلمهم ولا
ينفعون غيرهم). اهـ.

وفي ضمن هذا تنبيه إلى وجوب التزام منهج أهل السنة والجماعة، وأن من
أسباب خروج كثير من المسلمين عن السنة، ومقتضى الإسلام: إحداث
مناهج في الدين منبعا للرأي، مما كان ذلك سبباً في هدم الإسلام وتلمه.



باب تفسير الإسلام^(١)

وقول الله تعالى: ﴿ فَإِن حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ

أَتَّبَعَنِي ﴾^(٢) آل عمران: ٢٠.....

(١) بعد أن بيّن الشيخ المجدد رحمه الله فضل الإسلام، وبيّن وجوب الدخول في الإسلام، والأصول العامة لالتزام الإسلام، وما يجب الدخول فيه من حيث القواعد الكلية التي تشمل الاتباع والتلقي، ومفارقة أهل الجاهلية، والاستقامة، أراد هنا أن يفسر ويبين ما هو الإسلام الذي له هذا الفضل والذي يجب الدخول فيه، حتى لا يدعي مدع أنه مسلم وهو في الحقيقة ليس بمسلم، أو يكون مسلماً ولكن ناقص الإسلام فليس الإسلام بالدعوى والانتماء، ولكن الإسلام بالتمسك بالإسلام الحقيقي، فلا بد أن نعرف ما هو الإسلام من كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ.

(٢) هذا فيه بيان الإسلام أنه إسلام الوجه لله، وإخلاص النية، والبراءة من الشرك. وعبر بالوجه لفائدة عظيمة وهي: أن من أسلم الوجه فإنه لا يلتفت عن توجّه إليه أي التفات؛ لأن الوجه هو محل التركيز، ومحل الآلات ومحل الحواس، فإذا أسلم الوجه وتوجّه به فإنه لا يلتفت بيدنه ولا بقلبه ولا بإرادته وقصده عن الله ﷻ.

=وهذه الآية نزلت في محاجة النصارى - وفد نجران - الذين قدموا على رسول الله ﷺ ليحاجوه في مسائل ، فلما حاجوه بين الله تعالى أن الدين عنده هو الإسلام ، فقال : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ لآل عمران : ١٩ .

ثم قال بعدها : ﴿ فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ يعني إن حاجوك في هذا الدين الذي هو الإسلام الذي لا يرضى الله تعالى إلا إياه وحاجوك في قبول ما عندهم من الدين المحرف فقل معلناً لهم : ﴿ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ ﴾ : فيه أعظم الاستسلام لله جل وعلا ، استسلام الوجه توجهاً وانقياداً وطاعة ، واستسلام الجوارح في استعمالها فيما أمر الله جل وعلا به ، واستسلام القلب في القصد والإرادة لا يلتفت عن الإخلاص ، وعن طلب الله ﷻ أي التفات .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ : يشمل كل من اتبع الرسول ﷺ من عهد الصحابة ؓ إلى قيام الساعة .

إذ لا يكون المرء مسلماً حتى يسلم وجهه لله تعالى ، وذلك بالتوحيد ومتابعة الرسول ﷺ .

وفي الصحيح^(١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)^(٢)

(١) أي في صحيح مسلم: ٨ ، وهو قطعة من حديث جبريل رضي الله عنه ، وهو في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ آخر وهو: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان) صحيح البخاري: ٨ - صحيح مسلم: ١٦ واللفظ لمسلم.

(٢) هذا الحديث دل على تفسير الإسلام بالعقيدة ، وبأركان الإسلام الأربعة فالإسلام والإيمان واحد ؛ لأن كلاً منهما يحتاج إلى اعتقاد باطن وإلى عمل ظاهر ، فلا يصح إسلام أحد إلا بإيمان ، كما أنه لا يصح إيمان أحد إلا بإسلام.

— قوله: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله): شهادة أن لا إله إلا الله معناها: لا معبود بحق إلا الله عز وجل.

وهذه الشهادة تتضمن: الاعتقاد أولاً ، والنطق ثانياً ، وأن يُعلم غيره - ثالثاً - بما دلت عليه هذه الشهادة ، وأنه يعتقد ذلك ، فلا يعذر أحد في الجمع بين =

= هذه الثلاث إلا المكره والمستخفي بدينه.

وعلى هذا دارت تفاسير السلف في الجمع بين هذه المعاني الثلاث، كما في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَابِئًا بِأَلْقِسْطٍ ﴾ آل عمران: ١٨، وقوله سبحانه: ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ الزخرف: ١٨٦.

وقد أخطأ طائفة من الناس يفسرون الألوهية بالربوبية فيقولون: لا إله إلا الله: معناها لا خالق إلا الله، أو لا حاكم إلا الله. أو يقولون: إن الإله هو القادر على الاختراع، وغير ذلك، وهذا كله باطل، وهذا من أقوال المعتزلة، والأشاعرة والمتكلمين، فينبغي التنبه لهذا.

وقوله ﷺ: (وأن تشهد أن محمداً رسول الله): معنى شهادة أن محمداً رسول الله هو طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

فالشهادتان هما رأس الإسلام، وهما الركن الذي يفرق به بين المسلم والكافر، فتحقيق الإسلام متوقف على الإتيان بالشهادتين وتحقيقهما.

وقوله ﷺ: (وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً): هذه هي الأركان الأربعة العملية الظاهرة التي أجمع جمهور العلماء على أن من ترك هذه الأركان جميعاً فإنه ليس بمسلم.

وقد نقل الحافظ ابن رجب في كتابه إجماع العلوم والحكم ص ١١٤٧ عن =

وفيه^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)^(٢).....

=عبدالله بن شقيق أنه قال: (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون من الأعمال شيئاً تركه كفر غير الصلاة) ويُن بعد ذلك أن هذا هو الذي عليه جمهور أهل الحديث، وأنه قد ذهب طائفة منهم إلى أن من ترك شيئاً من أركان الإسلام الخمسة عمداً أنه كافر بذلك. اهـ.

وخلاصة القول: أن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين أن القيام بفرائض الدين هو الإسلام بمعناه الظاهر - أي فيما يظهر للناس - لأن إذعان القلب شرط لصحة الإسلام، لكنه يخفى على الناس فيبقى المعنى الآخر لتفسير الإسلام وهو تفسيره بالأعمال الظاهرة، وهذا هو الجانب العملي للإسلام.

(١) أي في صحيح مسلم: ٤١ من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه بهذا اللفظ.

(٢) هذا الحديث فيه بيان أن الإسلام ليس مقصوراً في الأركان الخمسة، بل هذه بمثابة الأساس الذي يقوم عليه الإسلام، ثم يدخل في الإسلام كل الطاعات التي أمر الله بها وأمر بها رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الطاعات ما هو واجب فتكامل الإسلام الكمال الواجب، ومنها ما هو مستحب فتكامل الإسلام الكمال المستحب.

ولهذا قال هنا: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)، فالذي يكف=

=أذاه عن الناس فهذا مسلم كامل الإسلام، والذي يؤذي الناس بلسانه أو بيده هذا ناقص الإسلام.

وهنا ترد مسألة مهمة: هل الإسلام يزيد وينقص مثل الإيمان؟

والجواب: كما ذكر الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله -: أن أكثر أهل السنة والجماعة على أن الإسلام مثل الإيمان يوصف بالزيادة والنقصان وذلك لأمرين:

الأول: أن حقيقة الاستسلام يتفاوت الناس فيها:

أ) فهناك استسلام واجب لله تعالى بالتوحيد، وهذا الواجب من تركه يكفر، فلا يدخل في الدين أصلاً، أو يخرج من الدين.

ب) وهناك استسلام من تركه فقد قصر وأذنب، وهذا يتفاوت الناس فيه وهو استسلام من حيث الانقياد لله تعالى بالطاعة.

الثاني: أن شهادة أن محمداً رسول الله تقتضي طاعة أمره، واجتناب نهيه وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، وهذه الثلاث يتفاوت الناس فيها. بل حتى نفس التصديق للنبي ﷺ يتفاوت الناس فيه، مما يدل على أن الإسلام منه ما هو كامل، ومنه ما هو أدنى من ذلك.

الثالث: أن الإسلام فُسرُّ بالأركان الخمسة جميعاً التي فيها أركان عملية كالصلاة والزكاة والصيام والحج، وجاءت أشياء أخرى في أحاديث أخرى كسلامة المسلم من اللسان واليد وغير ذلك، والناس يتفاوتون في ذلك. =

=وقد نقل الإمام الآجري كلام حسن لمحمد بن علي عليه السلام وهو: أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، والإسلام لا يجوز أن يقال: يزيد وينقص. فقال المحقق في تفصيل ذلك - نقلاً عن ابن تيمية -: هذا على اعتبار أن الإسلام الكلمة كما صحَّ عن الزهري قوله: الإسلام الكلمة والإيمان العمل، بمعنى أنه بمجرد تلفظه بالشهادتين يأخذ حكم المسلم، فهذا لا يتصور فيه الزيادة والنقصان، وإن أريد بالإسلام فعل الواجبات الظاهرة كلها، فهذا يكون قابلاً للزيادة والنقصان كالإيمان [الشرعية ٢ / ١٥٩٣].

وهنا مسألة أخرى:

أن المسلم له صفات كثيرة جاءت بها الآيات والأحاديث، فلماذا حصر في هذا الحديث وصف المسلم بأنه من سلم المسلمون من لسانه ويده؟

الجواب من وجهين:

الوجه الأول: أنه عليه السلام وصف المسلم بهذا الوصف، لأجل قلة من يسلم المسلمون من ألسنتهم - بالغيبة والنميمة والقذف ونحو ذلك - وأيديهم - بالاعتداء على الأموال والأنفس ونحو ذلك - فهو نَبَّه بهذه الخصلة على أن من أتى بها - وهم قلة - فهم أحرى بأن يأتوا بالخصال الأخرى من خصال الإسلام.

الوجه الثاني: أنه عليه السلام وصف المسلم بهذا الوصف لشدة الحاجة إليه =

وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده أنه سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام فقال: (أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة) رواه أحمد^(١).....

وللتنبية على أن هذا الوصف واجب من واجبات الإسلام يجب تعاهده وقد جاءت الآيات في الحض على أن المسلم يجب أن يسلم المسلمون من لسانه، كقوله ﷺ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١١٢]. وقوله ﷺ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣] ونحو ذلك.

وكذلك يسلمون من يده، كما جاء في حديث حجة الوداع: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا) متفق عليه. صحيح البخاري: ٦٧ - صحيح مسلم: ٤٣٦٠.

فهذا الحديث جاء في بيان حقوق المسلمين، وما سبق في بيان حق الله وحق الرسول ﷺ. فكان المصنف ﷺ أراد أن ينبه على أن تحقيق الإسلام باجتماع أداء حق الله تعالى، وحق رسوله ﷺ، وحقوق العباد - حقوق المسلمين - أنه هو التفسير الكامل للإسلام.

(١) إسناده حسن، أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم ٤٢٠٠٢٢، من رواية =

= أبي قزعة الباهلي ، عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه . وهذا الحديث فيه سؤال عن الإسلام بقوله : (ما الإسلام) ، وإذا كان السؤال عن الماهية يكون جوابه ركن فيما وقع السؤال عنه ، فدل ذلك على أن تفسير الإسلام المذكور في الحديث هو من أركان الإسلام ، وأنه من لم يحققها فليس بمسلم . وقوله ﷺ : (أن تسلم قلبك لله ، وأن تولي وجهك لله) : هاتان الكلمتان هي معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، ولكنها بعبارة أخرى تبين حقيقة هذه الشهادة فيما دلت عليه ظاهراً وباطناً .

- فأما ما دلت عليه حقيقة الشهادة باطناً فهو إسلام القلب لله تعالى ، كما قال ﷺ : (أن تسلم قلبك لله) فلا يكون القلب معظماً لأحد سوى الله وأن يستسلم القلب لله تعالى بالطاعة والانقياد ، وهذا من أركان الإسلام .
- وأما ما دلت عليه حقيقة الشهادة ظاهراً فهو أن لا يعبد إلا الله وحده وأن عبادة غيره باطل ، وهذا هو معنى قوله : (وأن تولي وجهك لله) يعني في أي عبادة ، وفي أي أمر يكون الرغبة والرهب ، والملتجأ والاستغاثة بالله ﷻ ويجب الانقياد لله تعالى ظاهراً وباطناً في التوحيد وما يتعلق بنبذ الشرك ، فمن لم ينقد ظاهراً فهو مشرك ، وأما سائر الأحكام العملية كالصلاة والزكاة ونحوهما فهي من الطاعات التي إن خالف فيها ظاهراً مع انقياد القلب فإنه لا تكون مخالفة قادحة في أصل الإسلام ، ولكن ينقص من إسلامه بقدر مخالفته .

وعن أبي قلابة، عن رجل من أهل الشام، عن أبيه، أنه سأل رسول الله ﷺ: (ما الإسلام؟ قال: أن تسلم قلبك لله، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك^(١)).....

=إذا تبين هذا، فمن أعظم ما يحققه الإسلام، إسلام القلب لله جل وعلا وإذا كان القلب مستسلماً لله ﷻ فإنه ينشأ عن ذلك أنواع كثيرة من العبادات القلبية من الذل والخضوع والرغب والرهب، مما يجعل تحقيق الإسلام عند العبد أعظم وأجلّ، فيذعن العبد لجميع الأوامر، وينتهي عن جميع النواهي، وهذا كما قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ للأحزاب: ٣٦، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ للنور: ٥١.

- وقوله ﷺ: (وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة): هذا من تفسير الإسلام، فأراد الإمام ﷺ أن يقرر في تفسير الإسلام أن الإسلام بمعناه الشامل هو تسليم القلب والجوارح، وما يستتبع ذلك من ضرورة إقامة الفرائض من الصلاة والزكاة، وهذه الثلاثة من أهم أركان الإسلام.

(١) هذه الجملة مرت في الأحاديث السابقة، وهنا جمع ما بين حق الله تعالى وحق المؤمنين.

قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان. قال: وما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت^(١) ^(٢).

(١) هذا هو الجانب العلمي للإسلام وهو جانب الاعتقاد. وهو دليل على أن الإسلام يشمل الدين كله، هذا إذا ذكر وحده، وإذا ذكر مع الإيمان فإنه يراد به الأعمال الظاهرة، وأفضل الإسلام هو الإيمان كما جاء في هذا الحديث.

ثم فسر الإيمان بأركان الإيمان الخمسة، ولم يذكر الركن السادس وهو الإيمان بالقدر خيره وشره، وذلك لأن القرآن الكريم ذكر هذه الأركان الخمسة دون القدر في آية، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وذكر القدر منفصلاً في آية

أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]

وجاء ذكر الأركان الستة معاً في حديث جبريل عليه السلام.

ومراد المصنف بذكر هذه الأحاديث والآثار تحت باب (تفسير الإسلام) لبيان أن الإسلام يُفسر بالإيمان، وهو أفضل الإسلام، ويفسر بالأركان الخمسة، وأداء حقوق الله عبادة وعقيدة، ويفسر بأداء حقوق العباد المؤمنين، ويُفسر بإسلام القلب لله انقياداً وطاعة، وهذه الأمور هي التي يدور عليها فلك الإسلام.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في [التمهيد ٢٤٦/٩]، وفيه راوٍ لم يُسمَّ، ومعناه

صحيح؛ حيث له شواهد في البخاري ومسلم وغيرهما.

باب قول الله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾^(١)

(١) هذا الباب فيه أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يقبل الله من أحد سواه ، وقد استدل المصنف ﷺ بهذه الآية في باب (وجوب الإسلام) على أن الدخول في الإسلام واجبٌ ، وهنا أراد أن يقرر باباً مستقلاً يبين فيه أنه كما أن الدخول في الإسلام واجب ، فكذلك الخروج من الإسلام - سواء بالردة أو بإحداث البدع - لا يقبل من صاحبه. وقد مر معنا أن هذه الآية تشمل فئتين من الناس :

الفئة الأولى :

فئة غير المسلمين من أتباع الملل المختلفة ، أنه لا يقبل منهم بعد بعثة محمد ﷺ ديناً سوى الإسلام ، حتى وإن كانوا على الدين الصحيح الذي جاء به أنبياءهم.

الفئة الثانية :

فئة المسلمين من هذه الأمة ، الذين لم يأخذوا الإسلام كما جاء في الكتاب والسنة ، بل أحدثوا المحدثات وابتدعوا الضلالات ، ويظنون أنهم على حق وعلى خير وصواب ، فهؤلاء لا يقبل منهم ما جاءوا به ؛ لأنه ليس على الإسلام الصحيح الذي أمروا به.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (تجبيء الأعمال يوم القيامة^(١) فتجبيء الصلاة فتقول: يا رب أنا الصلاة. فيقول: إنك على خير. [فتجبيء] الصدقة فتقول: يارب أنا الصدقة. فيقول: إنك على خير. ثم يجبيء الصيام فيقول: يارب أنا الصيام. فيقول: إنك على خير. ثم تجبيء الأعمال على ذلك. فيقول الله ﷻ: إنك على خير^(٢).....

(١) قوله ﷺ: (تجبيء الأعمال يوم القيامة):

للعلماء فيها قولان:

القول الأول: أن المراد بمجبيء الأعمال: مجبيء ثواب الأعمال يوم القيامة والأجر الذي وضعه الله ﷻ للأعمال.

القول الثاني: أن قوله ﷺ: (تجبيء الأعمال) المراد به مجيئها حقيقة، فالله تعالى قادر على جعل الأعمال تجبيء حقيقة، كما أنه يأتي القرآن يوم القيامة يُحاج عن أصحابه، وكما أن الأعمال توزن في الميزان حقيقة وهذا هو الذي عليه المحققون من أهل السنة والجماعة في أن الأصل في الأمور الغيبية أن تُقر على ظاهرها، وأن لا تؤول بتأويلات تصرفها عن ظاهرها.

(٢) قوله ﷺ: (فتجبيء الصلاة فتقول: يا رب أنا الصلاة.....) الخ: أي أن=

= جميع هذه الأعمال المذكورة تجيء يوم القيامة ، وكلّ يريد أن يكون الوزن به ، وأن يكون هو المعيار الذي يوزن به أعمال العبد.

وهذا فيه تقرير لمسألة مهمة وهي : أن هذه الأعمال يكون بينها وبين أصحابها محبة ومودة وألفة ، بحيث إن كل عمل صالح يريد لأصحابه الزلفى والنجاة.

وفي قوله تعالى لهذه العبادات : (إنك على خير) : فيه تنبيه إلى حسن الأدب مع من رام شيئاً ولم يستحقه ، بأنه يثنى عليه ولا يهجن في قوله ، ولا يعطى أكثر من منزلته.

قوله ﷺ : (ثم يجيء الإسلام فيقول : يا رب أنت السلام ، وأنا الإسلام...) الخ الحديث.

(السلام) : اسم من أسماء الله ﷻ ، الذي من آثاره كل سلامة سلم بها العباد ، وكل أنواع السلامة في دينهم ودنياهم فيما دق أو جلّ من أمورهم إنما هي من آثار فيوضات الله ﷻ ، الذي هو السلام ﷻ ، وتقديست أسماؤه.

وبين اسم الله تعالى (السلام) واسم (الإسلام) مناسبة من جهة الاشتقاق لأن الإسلام فيمن أسلم يطلب السلامة ، والسلام من أسماء الله فيه فيوضات السلامة من جميع النواحي والجهات.

وفي هذا الدعاء من الإسلام : (اللهم أنت السلام وأنا الإسلام) : فيه تنبيه =

=للعباد أن يكون دعاؤهم بالتوسل بأسماء الله تعالى المناسبة لمطالبهم ؛ لأن العبد إذا وفق إلى هذا لا يكاد دعاؤه يُصرف بل يجاب ، كما أخبر بذلك الله تعالى فقال : ﴿ وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۗ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قوله : (بك اليوم آخذ) : من الأخذ وهو العقوبة والعذاب.

وقوله : (وبك اليوم أعطي) : أي أتكرم وأتفضل ، فدل ذلك على أن الله ﷻ جعل الإسلام هو الميزان الذي يعاقب بتركه ، ويكرم ويفضل به. وإذا كان كذلك فإن تحقيق الإسلام هو أعظم أسباب النجاة ومن تخلف عن ذلك فهو مؤاخذ ، وسيُرد عليه ما تعبَّد به مما ليس من الإسلام.

إذا تبين هذا فإن هذا الحديث من الأحاديث العظيمة التي تهز النفس والفؤاد والجوارح في لزوم الإسلام الصحيح وعدم مخالفته إلى غيره فالمسألة ليست مسألة عبادات من حيث هي فقط ، وإنما المسألة مسألة تحقيق الإسلام.

لهذا ينبغي على الدعاة وطلبة العلم - كمنهج - أن يأخذوا بالإسلام في شموله في الدعوة ، فلا يُقتصر على جانب دون جانب آخر.

فحقيقة الإسلام الذي يجب أن يتخذ منهاجاً للدعوة ، هو الإسلام الذي يشمل جميع ما أمر الله تعالى به ، وأمر به رسوله ﷺ أمر إيجاب ، وجميع ما نهى الله تعالى عنه ، ونهى عنه رسوله ﷺ نهى تحريم ، ثم يأتي بعد =

ثم يجيء الإسلام فيقول: يارب أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول الله ﷻ: إنك على خير، بك اليوم آخذ، وبك أعطي.

قال الله تعالى في كتابه: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ

وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، رواه أحمد^(١).

وفي الصحيح^(٢) عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

= ذلك المستحبات وغيرها من باب التبع.

وهذا هو المنهج الذي اتخذه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في دعوته حيث أخذ بما في هذه النصوص بحذافيرها، ودعا إلى الإسلام كله: بأداء حقوق الله ﷻ، وحقوق العباد، والأمر بالفرائض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بالنصح للراعي والرعية، والقيام بالحقوق جميعاً.

وهذا هو حقيقة الإسلام التي وعد الله سبحانه من أخذ بها بالنصر والتأييد مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

الْأَشْهُدُ ﴾ [آغافر: ٥١].

(١) في المسند: ١٨٧٤٢، وقال المحققون: إسناده ضعيف.

(٢) صحيح مسلم: ١٧١٨.

(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) ^(١) رواه أحمد ^(٢).

(١) أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث هنا تحت باب قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ لبيان أنه يدخل في هذه الآية من أحدث في هذا الدين ما ليس منه، سواء كان ذلك في العقائد أو في العبادات، فكل من تعبد الله بعمل لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة فإن عمله مردود بنص الآية والحديث، وصاحبها في الآخرة من الخاسرين.
ولابد من استحضار معانٍ مهمة في هذا الباب وهي:

١ - كمال الدين، وعلى هذا فلا يصح لأحد أن يدعي في يوم من الأيام أن الناس بحاجة إلى أمر يقررونه في العقيدة أو الأحكام دون مصادر الدين الحقيقية.

٢ - أن هذا الدين باق ظاهر إلى يوم القيامة، فلا يجوز لأحد أن يدعي في يوم من الأيام أن هناك من أمور الدين وأصوله ما اندثر، أو يحتاج إلى أن يبدل. نعم قد تخفى بعض السنن، لكن لا تخفى على عموم الأمة؛ لأنه لا تزال طائفة من الأمة على الحق جملة وتفصيلاً.

٣ - لا يسوغ لأحد أن يدعي أن الدين فقط هو نصوص الكتاب والسنة لأن النصوص لا تصح بدون تفسيرها، وتفسيرها هو عمل الرسول ﷺ وعمل الصحابة رضي الله عنهم، وعمل التابعين وأئمة الهدى، وذلك سبيل =

=المؤمنين الذي توعد الله تعالى من خالفهم بقوله: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ
بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِمْ جَهَنَّمَ
وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

(٢) في المسند: ٢٥١٢٨.



باب وجوب الاستغناء بمتابعته - يعني القرآن - (١)

وقوله تعالى: ﴿ وَتَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٢) للنحل: ١٨٩....

(١) يشير الشيخ رحمته الله بهذا الباب إلى أن من فضل الإسلام أنه كامل، وأنه يعني عن أي حاجة إلى أي مبدأ، أو مذهب، أو ما يتلدين به الناس، وهذا التبويب فيه دليل على وجوب الاكتفاء بالكتاب والسنة عن كل ما سواه مما يريد العبد أن يطلب به الهدى أو العلم النافع. وذكرنا هنا السنة لأنه جاء في بعض النسخ (وبمتابعته ﷺ)، ولأن متابعة النبي ﷺ تدخل في متابعة الكتاب.

ومن نظر في حال أهل الإسلام اليوم الذين فارقوا الجماعة، وأنشأوا الفرق، وتبعوا الضلالات، يتبين له أن سبب ذلك هو أنهم لم يستغنوا ولم يكتفوا بما جاء في الكتاب والسنة وفي هدي الصحابة عن الكتب المختلفة والآراء العقلية والأقيسة، بل زهدوا في ذلك كله، وأخذوا يتلقفون العلم من مصادر أخرى يظنون أن فيها الهداية.

(٢) يقول ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: (قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء. فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم) المصباح المتير ١٥٨٧. =

= وفي قوله تعالى: ﴿ وَتَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾: خطاب للرسول ﷺ. وهذا فيه أن القرآن منزل غير مخلوق - كما تقول الجهمية - .
 - وقوله تعالى: ﴿ بَيِّنَاتًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾: لا يشمل ما لا ينفع الناس في دينهم لأن القرآن لم ينزل لأمر الناس في دنياهم وإنما نزل للهداية، لذا قال بعدها: ﴿ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَنُذْرًا لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ١٨٩]. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ١٩].

فالله ﷻ جعل بحكمته الأشياء فيما حولنا على قسمين:

- (أ) أشياء يدخلها الهوى: وهو كل ما يتعلق بأمر الشبهات والشهوات.
 (ب) أشياء لا يدخلها الهوى: مثل أمور الحساب والهندسة ونحو ذلك من الأمور التي تسري فيها سنن الله جل وعلا.
 فالله ﷻ جعل القرآن هادياً للناس إلى الصراط المستقيم، والطريق القويم الذي لا يلتبس فيما يدخله هوى الناس، وهو الأمور العلمية والعملية التي يحتاجونها، وأما الأمور التي لا يدخلها الهوى فالقرآن لم ينزل لأجل بيانها، ولهذا يخطئ من يجعل القرآن في العلوم كلها، كما زعمت طائفة أن القرآن كتاب في الطبيعة، وكتاب في الزراعة، وكتاب في الهندسة، وكتاب في الجبر، ونحو ذلك يظنون أن هذا فيه رفع لشأن القرآن، وليس كذلك بل فيه إنزال من شأن القرآن؛ لأن الله جل وعلا لم ينزل القرآن لذلك ولم يجعله كتاباً في الأمور الرياضية، أو الطبيعية، أو الهندسية، أو إلى =

=آخره، وإنما جعله كتاب هداية فيما تدخل فيه أهواء الناس بتحريف مراد الله جل وعلا فيه.

فالقرآن إذاً تبيان لكل شيء ينفع العباد، ويحتاجون إليه، فيما قد يحرفونه بأهوائهم، أو قد لا يدركون الحق فيه مما ينفعهم في آخرتهم، أبانه الله ﷻ بياناً شافياً، فكل ما يكون من قبيل الهداية في الدنيا والآخرة فهو في القرآن وأما العلوم الأخرى فإنها لا تدخل في عموم قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ لعدم اشتمالها على الهداية في الطريق الذي يلتبس على الناس.

وهنا قد ترد شبهة وهي:

هل يمكن الاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة وأقوال الصحابة بنص هذه الآية؟

الجواب: لا يمكن الاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة، ولا عن أقوال الصحابة، وذلك لأنه قد جاء الأمر في القرآن الكريم بوجوب طاعة الرسول ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعاً، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿آل عمران: ١٣٢﴾. وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿النور: ٥٤﴾.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (لعن الله الواشعات والمتوشعات والمتمصعات والمتلجعات للحسن المغيرات خلق الله. فبلغ =

= ذلك امرأة من بني أسد يُقال لها: أم يعقوب. فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال: ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله. فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين، فما وجدت فيه ما تقول؟ قال: لئن كنت قرأته لقد وجدته. أما قرأت: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ١٧]، قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه) (صحيح البخاري: ٤٦٠٤ - صحيح مسلم: ١٢١٢٥).

فاستدل ابن مسعود ﷺ بما جاء في السنة على أنه في القرآن، وهذا استدلال أصولي عميق، دل على أن الاستغناء بالقرآن يشتمل على الاستغناء بما دل عليه القرآن من متابعة النبي ﷺ.

- وكذلك أقوال الصحابة ﷺ، فهي داخلة في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

- وكذلك الذين اتبعوهم بإحسان جاء النص عليهم في القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وإذا كان الأمر كذلك فإن هذه الآية التي أوردها المصنف ﷺ دالة على الاستغناء بمتابعة القرآن والسنة وهدى السلف الصالح عن كل ما سواها.

روى النسائي^(١) وغيره^(٢) عن النبي ﷺ أنه رأى في يد عمر بن الخطاب ﷺ ورقة من التوراة فقال: (أمتهوكون يا ابن الخطاب، لقد جئتمكم بها بيضاء نقية، لو كان موسى حياً واتبعتموه وتركتموني ضللتكم)^(٣)

(١) لم أقف عليه في سنن النسائي الصغرى ولا الكبرى.

(٢) أخرجه أيضاً الإمام أحمد في المسند: ١٥١٥٦، وقال المحقق: إسناده ضعيف لضعف مجالد بن سعيد، وحسنه الشيخ الألباني ﷺ في إرواء الغليل: [١٥٨٩]، لكثرة الشواهد، وقد ذكر بعضها في [الإرواء].

(٣) قوله ﷺ: (أمتهوكون يا ابن الخطاب): أي أمتحIRON، بمعنى: هل أنت في حيرة، أو شك، أو ريب مما جئتُ به؟
- (لقد جئتمكم بها بيضاء نقية): لقد جئتمكم بالشرية بيضاء نقية، لا يدخلها لبس، ولا تحريف.

- (لو كان موسى حياً واتبعتموه وتركتموني ضللتكم): وذلك لأن فترة موسى ﷺ قد انتهت، وشريعته نُسخت بشرية محمد ﷺ، فلا يجوز العمل بها؛ لأن رسالة محمد ﷺ هي خاتمة الرسالات، ولأن نبوته هي خاتمة النبوات، وكتابه الذي هو القرآن هو خاتم الكتب، وهو المهيمن على كل كتاب.

وفي رواية^(١): (لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي)، فقال عمر: (رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً)^(٢).

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨].

(١) هذه الرواية أخرجها ضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة: ٢١١٥ بنحوه.

(٢) قوله ﷺ: (لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي): وذلك لأنه بعد بعثة محمد ﷺ وجب على الجميع أن يؤمنوا به، وكانت رسالة كل رسول خاصة، وكانت رسالة محمد ﷺ عامة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٦٥٨]، بل تعم الثقلين الجن والإنس كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وهذا الحديث يدل على عدم جواز النظر في كتب الأنبياء السابقين، إما لأنها محرقة، أو لأنها منسوخة، أو للأمرين معاً. كما لا يجوز لأي أحد من الأنبياء - إن كان موجوداً بعد بعثة النبي ﷺ - أن يعمل بغير شريعة محمد ﷺ وقد أخذ الله ﷻ الميثاق على جميع الأنبياء بالإيمان بالنبي محمد =

= ﷺ ، ومناصرته ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ آل عمران : ٨١ .

ولهذا عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان بشريعة محمد ﷺ يحكم بالقرآن ويدع الإنجيل ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويأمر باتباع محمد ﷺ .
وهنا مسألة مهمة وهي :

هل النظر في التوراة محرّم على الإطلاق أم لا ؟

الجواب على ذلك :

أن العلماء لهم قولان في النظر في التوراة :

القول الأول : أنه يحرم النظر في التوراة أو الإنجيل أو الزبور مطلقاً ، سواء أكان الناظر فيها عالماً أم ليس بعالم ، وهذا قول جمهرة كبيرة من أهل العلم .
القول الثاني : أنه محرّم ، ولكن ليس على إطلاقه ، فيجوز لأهل العلم الموثوق بهم ، والراسخين فيه أن ينظروا في التوراة لغرض إبطال دعوى اليهود أو النصارى ، أو لنصرة الدين أو ما شابه ذلك في مسائل الدعوة إلى الله ﷻ والجهاد العلمي .

وهذا القول الثاني هو الذي اعتمده كثير من أهل العلم ، وألفوا كتباً كثيرة في بيان بعض التحريفات التي اشتمل عليها الإنجيل والتوراة ، بل كتب =

=شيخ الإسلام ابن تيمية كتاباً سماه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» فيه نقول كثيرة عن التوراة والإنجيل، وكتب تلميذه ابن القيم كتاباً سماه «هداية الخيارى في أجوبة اليهود والنصارى» نقل فيه كثيراً عن تلك الكتب وكذلك القرطبي، وغيره من العلماء نظروا في ذلك لغرض نصره الشريعة.

وخلاصة القول في هذه المسألة: أنه لا يجوز لأفراد الناس، وآحاد طلاب العلم أن ينظروا فيها، بل يحرم ويأثم من نظر فيها، ولكن إذا كان نظره نظر عالم راسخ في العلم لقصد الجهاد العلمي فإن هذا جائز. وترد هنا مسألة أخرى مهمة أيضاً، وهي:

ما حكم الروايات الإسرائيلية الموجودة في بعض كتب التفسير لدينا مثل تفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، والبغوي، وغيرهم؟
الجواب: ينقسم الأخذ بأقوال أهل الكتاب إلى ثلاثة أقسام:
الأول: ما علمنا صحته مما بأيدينا من القرآن والسنة، فهذا القسم صحيح، وفيما عندنا غنية عنه، ولكن يجوز ذكره، وروايته للاستشهاد به، وإقامة الحجة عليهم.

مثال ذلك: ما ذكر في صاحب موسى عليه السلام، وأنه الخضر، فقد ورد في الحديث الصحيح، وكذا ما يتعلق بالبشارة بالنبي ﷺ ورسالته.

ودليل جواز روايته: ما ورد عن النبي ﷺ: (بلغوا عني ولو آية =

= وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) صحيح البخاري: ٣٤٦١.

الثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه، فهذا لا تجوز روايته وذكره إلا مقترناً ببيان كذبه، وأنه مما حرفوه وبدلوه، كما أخبرنا الله تعالى عنهم بقوله: ﴿مُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ للمائدة: ٤١٣. أي أنهم يجعلون للكلم الذي أراد الله تعالى معنى غير ما أراده الله ورسوله.

مثال ذلك: ما ذكره في قصص الأنبياء من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذكر في توراتهم المحرفة من أن الذبيح إسحاق عليه السلام وليس إسماعيل عليه السلام.

ومن الأدلة على النهي عن روايته: قول ابن عباس رضي الله عنهما: (يا معشر المسلمين: كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث، تقرؤونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا هو من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل إليكم) صحيح البخاري: ٤٦٩٢٩.

وقد قال الإمام مالك رضي الله عنه في حديث: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج): (المراد جواز التحديث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا) فتح الباري: ٤٤٩٨/٦.

= وكذلك حديث الباب دليلٌ على النهي عن قراءة الكتب المتقدمة.

الثالث: ما هو المسكوت عنه، لا من هذا ولا من ذاك، فلا نؤمن به ولا نكذبه، لاحتمال أن يكون حقاً فنكذبه، أو باطلاً فنصدقه، ويجوز روايته لما تقدم من الإذن في الرواية عنهم.

ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: (كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: ءامنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم) اصحيح البخاري: ١٦٩٢٨.

ومع هذا فالأولى عدم ذكره، وأن لا نضيع الوقت في الاشتغال به. لانظر هذا التقسيم في كتاب (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير) د. محمد بن محمد أبو شعبة ص ١٠٦، ١٠٧.

يقول الشيخ صالح آل الشيخ معلقاً على سبب إيراد المصنف رحمته الله لحديث عمر رضي الله عنه تحت هذا الباب: (ومراد إمام الدعوة رحمته الله من استدلاله بحديث عمر رضي الله عنه أن يبين أن هذه التوراة أصلها كلام الله ﷻ، لكن لما وقع فيها التحريف والتبديل، وكنا مستغنين بالكتاب والسنة فإن النظر فيها محرم بالرغم من أن أصل التوراة من عند الله ﷻ، فكيف إذا الأمر بالنسبة إلى الكتب التي تنتجها عقول البشر مثل كتب الفلسفة، والتصوف، والزندقة والمنطق، وغيرها من كتب الأقوال المختلفة التي أضلت الأمة وفرقتها =

=وأثرت في تفسير كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فانصرف الناس عن تفاسير السلف، وشروح السنن المعتمدة إلى نحو أقوال الفلاسفة وأهل المنطق وأهل البدع، مما جعل الكتب الموروثة في هذه الأمة مشتملة على حق وباطل، وقل من يميز ذلك.

ولهذا كان من المنهج الذي ورثه أئمة الإسلام من السلف الصالح أن يستغنوا بالكتب النافعة عن الكتب التي اشتملت على حق وباطل، وهذا واضح في تحذير أئمة أهل السنة والجماعة من كتب أهل البدع، ومن النظر فيها، بل أمروا بإحراقها بلا ضمان).

فقد ذكر الذهبي في ميزان الاعتدال ١١٦٥/٢ في ترجمة الحارث بن أسد المحاسبي: (رواية الحافظ سعيد بن عمرو البردعي قال: شهدت أبا زرعة وقد سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه، فقال للسائل: إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك. قيل له: في هذه الكتب عبرة. فقال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة، فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن سفیان ومالكاً والأوزاعي صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس، ما أسرع الناس إلى البدع).

وذكر ابن القيم في كتابه لا الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص ١٢٣٣: (فصل: وكذلك لا ضمان في تحريق الكتب المضلة وإتلافها ونقل عن المروزي: قلت لأحمد: استعرت كتاباً فيه أشياء رديئة أترى أن أخرقه أو أحرقه؟=

=قال : نعم ، وقد رأى النبي ﷺ بيد عمر ؓ كتاباً اكتبه من التوراة وأعجبه موافقته للقرآن ، فتمعر وجه النبي ﷺ حتى ذهب به عمر إلى التنور فألقاه فيه ، فكيف لو رأى النبي ﷺ ما صنف بعده من الكتب التي يُعارض بعضها ما في القرآن والسنة).

فإذا المنهج الصحيح أن يُرى الناس في الدعوة ، وأن يرشدوا إلى ما ينفعهم من العلم الذي يقابلون به الله ﷻ في الآخرة.

والعلم النافع ثلاثة أقسام كلها في القرآن ، كما وصفها ابن القيم رحمته الله بقوله :

- ❖ والعلم أقسام ثلاثٌ ما لها
- ❖ علمٌ بأوصاف الإله وفعله
- ❖ والأمر والنهي الذي هو دينه
- ❖ والكل في القرآن والسنن التي
- ❖ من رابع والحق ذو تبيان
- ❖ وكذلك الأسماء للديان
- ❖ وجزاؤه يوم المعاد الثاني
- ❖ جاءت عن المبعوث بالفرقان

* * *

باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام^(١).....

(١) أراد إمام الدعوة رحمته الله في هذا الباب، أن يلفت النظر إلى أسباب حدوث الافتراق في هذه الأمة وعدم اجتماع الكلمة بين المسلمين، ألا وهي الأسماء والشعارات والألقاب، والتي قد تكون بالتعصب إلى بلد أو قبيلة، أو رجل، أو بالتعصب إلى فئة، أو حزب، أو جماعة، أو فرقة أو تكون بالتعصب إلى مذهب معين، فحدثت أسماء كثيرة في هذه الأمة مخالفة للأسماء الشرعية التي ذكرها الله تعالى في كتابه، أو ذكرها رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته.

ومما لا شك فيه أن التفرق في هذه الأسماء يوجب الفرقة في الأبدان ويوجب الفرقة في الأقوال، مما يعني أنه يحدث افتراقاً في الدين، وافتراقاً في الجماعة، وهذا هو الذي ذمه الله تعالى، وحذر منه كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١١٥٩]، أي لست منهم في أي خصلة؛ لأن أصل الدين هو الأمر بالاجتماع فيه، وعدم التفريق في المسائل العملية، هذا نتج فيه الدليل وهذا لا نتج، وكذا المسائل العلمية وهي مسائل العقيدة والتوحيد، فإذا حصل التفرق في الدين ترتب عليه الفرقة في الأبدان، ومن هنا نجد أن في نصوص الشريعة ثم تلازم بين لزوم السنة ولزوم الجماعة، فمن لزم السنة لزم الجماعة، كما أن من لوازم البدعة فرقة في الجماعة.

=

وقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ ^(١) الحج: ١٧٨...

= وكذلك حذر النبي ﷺ من الفرقة، والتعصب للأسماء المحدثه - كما سيأتي في هذا الباب -.

(١) وقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾.

على من يعود الضمير في قوله: ﴿هُوَ﴾؟

- ذهب جمهور أهل التفسير على أن الضمير يرجع إلى رب العالمين، ويدل على ذلك سياق الآية، فقد قال سبحانه في أولها: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مَلَّةً أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ الحج: ١٧٨، فالله ﷻ هو الذي لم يجعل لنا في الدين من حرج، وهو الذي خفف عنا، وهذه هي ملة أبينا إبراهيم ﷺ، فالله ﷻ سمانا المسلمين ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي في الكتب السابقة ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي في هذا القرآن الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ.

- وذهب قليل من أهل العلم، منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغيره إلى أن الضمير في قوله: ﴿هُوَ﴾ يرجع إلى إبراهيم ﷺ، ولكن هذا ليس بجيد، بل هو أقرب إلى الغلط؛ لأن سياق الآية يدل على أن المراد بالضمير ﴿هُوَ﴾ الله ﷻ، وتقلست أسماؤه، وهذا ما رجحه الشيخ صالح آل الشيخ =.

عن الحارث الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ^(١): (أمركم
بخمسة الله أمرني بهن ^(٢)):

= وقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾: هذا هو الشاهد من الاستدلال
بالآية، وهو قوله: ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ والله صلى الله عليه وسلم لم يسم أتباع
الرسول محمد صلى الله عليه وسلم باسم إلا باسم الإسلام. ولذلك كان اسم المسلمين
يختص بهذه الأمة، وأما اسم المؤمنين فقد يشمل كل مؤمن، ولا يختص
بهذه الأمة من حيث الإطلاق.

ولهذا ينبغي المحافظة على هذا الاسم في كل مكان، لأنه تسمية الله تعالى
فيجب على العباد أن يرضوا بتسمية الله جل وعلا لهم، لأنها أكرم تسمية
وأعظم تسمية، فالمسمي هو رب العالمين، فمن خرج عن تسمية رب
العالمين لعباده فقد خرج عن ما رضىه الله جل وعلا لعباده المسلمين.

(١) هذا الحديث من الأحاديث العظيمة، وجوامع الكلم التي اشتملت على
كل المطالب الدينية التي تنفع العباد في دينهم ودنياهم، وفيما يصلح شأنهم
في اجتماعهم في الدين وفي أمور الدنيا.

(٢) قوله: (أمركم بخمسة الله أمرني بهن): يفيد وجوب هذه المطالب
وتخصيصها يدل على أنها من مطالب الإسلام العظام، ومن خصاله الجليلة
التي فاقت غيرها من الأوامر.

=وقوله: (بمخمس): يدل على أنها مختارة، وأن هذه الخمس أهم من غيرها مما يدخل في معناها.

وقوله: (الله أمرني بهن): هذا يدل على أن النبي ﷺ إذا أمر بأمر فإنما يبلغ رسالة الله جل وعلا، فيأمر بما أمر الله ﷻ، وينهى عما نهى الله ﷻ والسنة أخت القرآن في أنها وحي من عند الله تعالى، وهي بيان للقرآن وتفصيل لأحكامه.

وقد كان حسان بن عطية رضي الله عنه يقول: (كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما يُنزل القرآن عليه، يعلمه إياها كما يعلمه القرآن) اشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ / ٨٤.

وقد قال الله ﷻ: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ للنساء: ١١٣، والحكمة هي السنة كما جاء تفسيرها عن الحسن في قوله: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ البقرة: ١٢٩، قال: ﴿ الْكِتَابَ ﴾: القرآن و﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾: السنة للمصباح المنير ص ٨٥ وصح عن النبي ﷺ أنه قال: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه). المسند: ١١٧١٧٤ وإسناده صحيح.

فقوله ﷺ: (الله أمرني بهن): فيه بيان أن أمر النبي ﷺ هو أمر من الله ﷻ، كما أن فيه تأكيداً منه ﷺ بقوله: (الله أمرني بهن) ليلفت النظر إلى عظم هذه الأوامر وجلالتها، كما أن فيه أيضاً تشويقاً لسماعها وبيان ما فيها.

السمع والطاعة^(١) ،

(١) قوله: (السمع والطاعة): هذا هو الأمر الأول والثاني، فجعل السمع واحداً، والطاعة واحدة مع أنهما مقترنان من حيث الوجود - فمن سمع فقد أطاع، ومن أطاع فقد سمع - وذلك لأن الحاجة إليهما معاً في الأمر متعينة وعظيمة.

فالسمع والطاعة واجبان، ويجتمع فيهما ثلاثة حقوق:

- ١ - حق الله ﷻ، لأنه هو الذي أمر بذلك.
- ٢ - حق ولي الأمر والنصح له؛ لأن هذا حق أحقه الله تعالى له، وقد أمر سبحانه بأداء الحقوق إلى أهلها.
- ٣ - حق المسلمين جميعاً؛ لأنه من خرج عن السمع والطاعة، فإنه لا يؤذي ولي الأمر فقط، وإنما يؤذي المسلمين جميعاً؛ لما يترتب على عدم سمعه وطاعته من المفاسد.

إذا تبين هذا، فإن السمع والطاعة لولي الأمر مشروطة في النصوص بأنها سمع وطاعة في غير معصية، وأما إذا أمر العبد بمعصية فإنه لا سمع ولا طاعة؛ لأنه حينئذ يكون ما أمر به مخالفاً لما أمر به الله ﷻ ورسوله ﷺ وأمر الله تعالى هو المقدم، وطاعة ولاة الأمر إنما تجب تبعاً لطاعة الله ولطاعة رسوله ﷺ، ولا تجب استقلالاً، ولهذا قال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. =

والجهاد^(١)،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وآخرون: كرر الفعل أطيعوا في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ لأن الله ﷻ يُطَاع استقلالاً لحقه، والرسول ﷺ أيضاً يُطَاع استقلالاً لحقه - يعني لا يُعرض كلامه عليه الصلاة والسلام على القرآن - وأما ولي الأمر فلم يكرر له الفعل (أطيعوا) قال: ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ لأن طاعته تجب تبعاً لطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ولا تجب استقلالاً.

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر، من ذلك:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) صحيح البخاري: ١٧١٤٢.

- وعن وائل بن حجر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ ورجل سأله فقال: أرأيت إن كان علينا أمراء يمينوننا حقنا ويسألوننا حقهم؟ فقال رسول الله ﷺ: (اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حُمِلوا وعليكم ما حملتم)

لرواه مسلم: ١٨٤٦. والترمذي: ٢١٩٩ واللفظ له.

(١) قوله: (والجهاد).

= هذا هو الأمر الثالث: الجهاد، والمراد به هنا جهاد الأعداء.

= وجهاد العدو على قسمين :

(أ) جهاد بالحجة والبيان.

(ب) جهاد بالسنان والسلاح.

فأما الأول: وهو جهاد بالحجة والبيان: فهذا واجب مأمور به لكل من قدر عليه، في كل زمان، وفي كل مكان، وفي كل حال بحسبه، وقد أمر الله ﷺ به نبيه ﷺ في مكة قبل أن يشرع الجهاد بالسنان، فقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٥٢]. يعني جهادهم بالقرآن، فهذا جهادٌ بالحجة والبيان.

وأما الثاني: وهو الجهاد بالسنان والسلاح على قسمين:

١ - جهاد عيني.

٢ - جهاد كفائي.

والله ﷺ أمر بالجهاد - كما في هذا الحديث - وهو فرض عين على من تعين عليه، وفرض كفاية على عموم الأمة، ولكن على حسب الاستطاعة فإذا لم يكن عندهم استطاعة فإنهم ينتظرون حتى يكون عندهم قوة، فالنبي ﷺ مكث في مكة بعد البعثة (١٣) سنة مقتصرًا على الدعوة إلى الله ﷻ، ولم يؤمر بالجهاد؛ لأن المسلمين لا يقدرّون في تلك الفترة على الجهاد، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وصار له أنصار وأعوان فرض الله عليهم الجهاد، لأنهم يقدرّون عليه.

والهجرة^(١)

(١) قوله: (والهجرة).

هذا هو الأمر الرابع: الهجرة، وهي مأخوذة من الهجر، وهو الترك، قال تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ﴿١٥﴾، وللدثر: ١٥، والرجز: الأصنام، وهجرها: تركها، وهذا معناها في اللغة.

أما في الشرع: فهي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، فراراً بالدين.

والهجرة في النصوص قسمان:

القسم الأول: الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام.

القسم الثاني: الهجرة مما سوى الله ﷻ إلى الله وحده.

فأما القسم الأول: وهو الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام: وذلك كهجرة الصحابة رضي الله عنهم من مكة إلى الحبشة، ومن مكة إلى المدينة، فهذا النوع من الهجرة ينقسم إلى قسمين:

أ) هجرة خاصة: وهي من مكة إلى المدينة، وقد انتهت بفتح مكة، حيث قال النبي ﷺ بعد فتحها: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية) لمضق عليه، صحيح البخاري: ١٧٣٧ - صحيح مسلم: ١١٣٥٣.

ب) هجرة عامة: وهي من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وهذه باقية إلى قيام الساعة، وهي التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: (لا تنقطع الهجرة حتى =

=تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) اصحيح سنن

أبي داود: ٢١٦٦.

وأما الهجرة من حيث الحكم فتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ - هجرة واجبة: وذلك إذا لم يستطع المسلم إظهار شعائر الإسلام، فيأثم إذا تركها شحاً بوطنه أو بماله، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ أَلْمَلَيْكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْك مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٧﴾

للنساء: ١٩٧.

يقول الإمام الشوكاني: (استدل بهذه الآية على أن الهجرة واجبة على من كان بدار الشرك، أو بدار يُعمل بمعاصي الله جهاراً، ولم يكن من المستضعفين) لفتح القدير: ١/ ١٥٠٥.

٢ - هجرة مستحبة: وذلك لمن كان قادراً على إظهار دينه، فيستحب له الهجرة إلى بلاد المسلمين، لأجل أن يتمكن من جهاد الكفار، وتكثير المسلمين، والتخلص من الكفار ومخالطتهم، والدليل على عدم وجوب ذلك عليه قوله تعالى: ﴿ يَنْعِبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فإِنِّي فَأَعْبُدُونَ ﴿٥٦﴾

للعنكبوت: ٥٦.

٣ - من لا هجرة عليه: وهو العاجز عن الهجرة، إما لمرض أو إكراه على الإقامة فلم يستطع الخروج، أو ضعف من النساء والولدان وشبههم =

=فهؤلاء لا هجرة عليهم، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ فَأَوْلِيكَ عَسَى اللَّهُ
أَنْ يَغْفُوَ عَنْهُمْ ^ع وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٩٨﴾ النساء: ٩٨ - ١٩٩.

ومن خلال بيان حكم الهجرة استخلص العلماء حكم السفر إلى بلاد
الكفر، حيث تفرع الحكم في ذلك بحسب القصد:

أ) فإن كان القصد في السفر: طلب علم لا يوجد في بلاد المسلمين
أو العلاج، أو الدعوة إلى الله، أو التجارة، فإنه يجوز السفر إليها والإقامة
فيها للمصلحة المترتبة على ذلك، ولكن بثلاثة شروط:

١ - أن يكون عنده علم يمنعه من الشبهات.

٢ - أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

٣ - أن يتمكن من إظهار دينه، والقيام بعبادة ربه كما أمر الله ﷻ.

ب) وإن كان القصد في السفر: التزهة والسياسة فالقول بالمنع أظهر؛ لأن
الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد، وفرض عليه عداوة
المشركين، فما كان ذريعة وسبباً إلى إسقاط ذلك فإنه لا يجوز، وقد ورد
عن النبي ﷺ أنه قال: (أنا بريء ممن يقيم بين أظهر المشركين لا تراءى
نارهما) صححه الألباني في إرواء الغليل: ١١٢٠٧.

فمن سافر من أجل السياحة فهو على خطر عظيم من وجوه:

١ - أنه خالف النصوص الدالة على وجوب الهجرة، وتحريم الإقامة عند=

=الكفار، ومن ذلك حديث سمرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: (من جامع
المشرك وسكن معه فإنه مثله) حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة: ١٢٣٣٠.

٢ - فقد الغيرة عنده - وهذا شيء ملاحظ - فإن الإنسان إذا أقام في بلد تكثر
فيه المعاصي فإن غيرته تضعف أو تموت بالكلية.

٣ - أن هذه الأسفار لا تسلم غالباً من الإسراف في المصاريف المالية، وهذا
فيه إنعاش لاقتصادهم، وتقوية لهم. لانظر حصول المأمول شرح ثلاثة الأصول
ص ١٧٠ - ١٧٧.

وغير ذلك من المفاسد المترتبة على السفر إلى بلاد الكفر، سلمنا الله وإياكم
من الفتن.

- بل حتى الهجرة من البلد التي يكثر فيها المعاصي والبدع تدور بين
الاستحباب والوجوب، فقد ذكر الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - حفظه
الله - عند شرحه لكتاب الأصول الثلاثة: (بأن البلد الذي يكثر فيها المعاصي
والبدع ذكر الفقهاء أنه يستحب الهجرة منها، وقد هاجر جمع من أهل
العلم من بغداد لما علا فيها صوت المعتزلة، وانتشرت المعاصي). اهـ.

وفصل الشيخ صالح آل الشيخ المسألة فقال: (وهكذا الحكم فيمن كان في
دار البدعة، ولا يستطيع إظهار السنة والدين، فإنه يجب عليه أن ينتقل إلى
دار السنة، وإن كان يستطيع إظهار السنة تصبح الهجرة بالنسبة له مستحبة
وليست واجبة). اهـ. امن شريط فضل الإسلام.

=

والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه إلا أن يُراجع^(١)،

=القسم الثاني: الهجرة مما سوى الله ﷻ إلى الله وحده:

كما قال ﷺ: ﴿فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠]

وذلك بأن يهجر كل ما يشغل عن الله ﷻ، ويتجه ويهاجر إلى الله ﷻ.

ولهذا جاء في الحديث: (المهاجر من هجر ما نهى الله عنه) اصحيح البخاري:

١١٠، وهذا يعم أشياء كثيرة تدل على أن حقيقة الهجرة هي هجر ما لا يحب

الله ﷻ إلى ما يحبه الله ويرضاه، وهذه يختلف فيها الناس بحسب عظم

محبتهم لله جل وعلا، ولرسوله ﷺ.

يقول الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله -: (وهذه الهجرة مما سوى الله

جل وعلا إلى الله جل وعلا وحده تكون في الاعتقادات، وفي عمل

القلب، وفي كلام اللسان، وفي استعمال الحواس والجوارح، والأمر فيها

عصيب والفتن بعمومها إنما يتلى الناس فيها في هذا المقام العظيم، هل

هاجروا مما نهى الله جل وعلا عنه إلى ما أمر الله جل وعلا به أم أنهم

قصروا في ذلك؟ والتقصير يكون سببه ضعف المحبة وضعف الإيمان،

ويكون أصحابه ممن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً). اهـ.

(١) قوله: (والجماعة فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام=

=من عنقه إلا أن يراجع).

هذا هو الأمر الخامس : الجماعة، والمراد بالجماعة هنا جماعة المسلمين في أبدانهم، فلا يخرج عنهم ويفارقهم لما يترتب على ذلك من المفاسد التي نهى الله تعالى عنها.

وأصل الجماعة التي أمر الله بها يشمل الاجتماع في الدين والجماعة في البدن، وكل منهما متعلق بالآخر، فمتى اجتمع الناس في دينهم حصل لهم الجماعة في أبدانهم، ومتى افترقوا في دينهم فإنه يحصل بينهم الفرقة في الأبدان والبغضاء والشحناء وكراهة بعضهم لبعض.

والاجتماع في الدين يكون بسلوك طريق الجماعة الأولى، وهم جماعة الصحابة والتابعين، وتبع التابعين، الذين لم تظهر فيهم البدع ولم تفسو فيهم الأهواء، وإنما وُجدت وأنكرت، فمن لزم طريقهم فقد سلك طريق النجاة يقيين.

وهذا ما كان يحض عليه ابن مسعود رضي الله عنه عندما كان يقول : (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة) إسناده صحيح : للإبانة لابن بطة برقم ٢١٧٥.

وكان يقول أيضاً : (من كان منكم متأسياً، فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم) فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقهم علماً، وأقلهم تكلفاً =

= وأقومهم هدياً، وأحسنهم حالاً، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم) اشرح السنة للبخاري: ١/٢١٤، وهو أثر لا بأس به.

ولهذا كان إبراهيم النخعي يقول: (لو أن أصحاب محمد ﷺ مسحوا على ظفر لما غسلته التماس الفضل في اتباعهم) الإبانة: ١/٣٦١. وذلك لعرفته بفضل الصحابة ﷺ، وتقدمهم على غيرهم في التأسى والاتباع للنبي ﷺ.

- وقوله ﷺ: (فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع): معناه أن من فارق جماعة المسلمين في الدين أو في الأبدان، فلم يذن بلزوم الجماعة، ولزوم طاعة الإمام، وعدم الخروج عليه والنصيحة له، (قيد شبر): يعني بمسافة شبر، يعني جلس منفرداً عن الجماعة ولو شبراً واحداً بعيداً عنها (فقد خلع ربة الإسلام من عنقه) وهذا من أحاديث الوعيد التي تُمرُّ كما جاءت، وفيها تهديدٌ وتخويفٌ للمسلم أن يفارق الجماعة.

مسألة: هل يفهم من قوله ﷺ: (فقد خلع ربة الإسلام من عنقه) أنه كافر؟

المعتمد عند أهل السنة أنه لا يفهم من ذلك تكفيره، ولكن قد فعل أمراً عظيماً وجللاً أوجب أن خلع الإسلام - الذي يدعو إلى الاجتماع وعدم =

ومن دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جئى جهنم^(١) فقال رجل :
يا رسول الله وإن صلى وصام؟.....

=الافتراق - من عنقه.

- وقوله (إلا أن يراجع): يعني إلا أن يتوب؛ لأنه من تاب تاب الله عليه.

(١) قوله: (ومن دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جئى جهنم):

دعوى الجاهلية لها تفسيران: الأول: أنها كل خصلة من خصال الجاهلية أبطلها الإسلام، فيأتي أحد يدعو إليها كما جاء في الحديث في الأبواب المتقدمة: (ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية).

الثاني: أنه تسمى بأسماء الجاهلية التي كانت تدعو إلى العصية، وأرجع الناس إلى عصبية الجاهلية، وإلى فخرها بالآباء والقبائل، ومثل هذا يفرق الناس، ولا يجمعهم على كلمة الإسلام، واسم المسلمين والمؤمنين. ويدخل في هذا الصنف أهل البدع الذين تبنا آراء خارجة عن آراء الجماعة في العقيدة.

وهذان الصنفان معاً توعدهم الرسول ﷺ بقوله: (فإنه من جئى جهنم): مأخوذة من الجثو على الركب، والمعنى أنهم ممن يكب في النار على وجهه وعلى ركبه.

قال: (وإن صلى وصام فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين
والمؤمنين عباد الله^(١)) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح^(٢).
وفي الصحيح^(٣): (من فارق الجماعة شبراً فمات فميتة
جاهلية^(٤)).....

(١) قوله: (فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال: وإن صلى
وصام..): وهذا يدل على عظم هذه الكبيرة، وأن أصحابها متوعدون
بأشد الوعيد، والعياذ بالله.

(فادعوا بدعوى الله): يعني تسموا بتسمية الله تعالى التي سماكم، وهذه
التسمية هي: (المسلمين والمؤمنين عباد الله): يعني يا عباد الله، فالله ﷻ
سمى عباده (المسلمين)، كما في قوله: ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي
هَذَا﴾ [الحج: ١٧٨]، وأيضاً سماهم (المؤمنين)، كما في قوله: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ
جَمِيعًا أَيَّةَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٢٤]، فسماهم بهذين
الاسمين الشريفين الذي يجمع أعظم خصلتين وهما الإسلام والإيمان.

(٢) إسناده صحيح أخرجه أحمد: ١٧٨٠٠، والترمذي بتحقيق الألباني: ٣٠٣٥.

(٣) صحيح البخاري: ٦٦٤٦ - صحيح مسلم ١٨٤٩.

(٤) قوله ﷺ: (من فارق الجماعة قيد شبراً فمات فميتة جاهلية): صدر هذا
الحديث قوله ﷺ: (من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من فارق الجماعة..)=

وفيه^(١): (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟)^(٢).....

(أ) فإذا نظرنا إلى هذا الحديث باعتبار صدره، دلاً على وجوب لزوم الجماعة، والبقاء على بيعة الإمام، وإن كان جائراً، مادام مسلماً، وطاعته تكون في غير معصية الله ﷻ.

وقوله: (من فارق الجماعة.... فميتة جاهلية): يعني من فارق إمام المسلمين، وجماعة المسلمين فمات فإنه يموت ميتة جاهلية، كحال أهل الجاهلية الذين يموتون وليس في أعناقهم بيعة، والعلماء رحمهم الله يقولون: إن ما أضيف إلى الجاهلية فإنه يراد به الذم لهذا الفعل على اختلاف درجاته فقد يكون كفراً، وقد يكون معصية، ولكن في كل الأحوال فهو مذموم.

وكل عمل من أعمال الجاهلية فإنه خروج عن دعوى الإسلام.
 (ب) ولو نظرنا إلى هذا الحديث بقطع النظر عن جزئه الأول، وأخذنا بعموم اللفظ، فإنه يحتمل أن من فارق الجماعة سواءً فارقهم باسم تسمى به غير جماعة المسلمين، أو خرج عليهم فقتل مؤمنهم، أو أنه خرج على إمامهم فكل هذا يدخل في قوله ﷺ: (من فارق الجماعة).

(١) في صحيح البخاري: ٤٦٢٢ - وصحيح مسلم: ٢٥٨٤ بنحوه، ليس فيه (وأنا بين أظهركم).

(٢) قوله ﷺ: (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم): قال عليه الصلاة=

قال أبو العباس: (كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن، من نسب أو بلد أو جنس، أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية^(١))،

=والسلام ذلك عندنا تخاصم غلامان، أحدهما من الأنصار، والآخر من المهاجرين، فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين فاجتمعوا وكاد أن يكون بينهما مقتلة، فخرج النبي ﷺ وقال: (أبدعوى الجاهلية....): يعني أبتسمية الجاهلية، ويسنة الجاهلية، وأنا لا أزال حياً بين أظهركم. وهذا فيه تغليظ وإنكار شديد على ذلك، كما يدل على أن الاسم إذا تعصب له فإنه مذموم، حتى ولو كان الاسم شرعياً، فكيف بالأسماء المحدثه؟!

فمن المعلوم أن اسم المهاجرين والأنصار من الأسماء المدحوة في القرآن الكريم، وكذا في السنة الشريفة، ولكن لما خرجت مخرج التعصب ذمها الرسول ﷺ وسماها (دعوى الجاهلية).

(١) قال أبو العباس - ابن تيمية - رحمته الله: (كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد..... فهو من عزاء الجاهلية): يعني كل تسمية خرجت عما سمي الله جل وعلا بها عباده في القرآن الكريم، أو عن تسمية الإسلام:

=من نسب: أي يتنسب إلى قبيلة من القبائل يوالي ويعادي فيها، بل ويظلم لأجل النسب، ولا يقام لاسم الإسلام ما يستحقه مما أمر الله به.

أو بلد: أي أن تكون النسبة إلى بلد يوالي ويعادي عليه، كما ينسب مثلاً ويقال: مصري، شامي، سعودي، بخاري.... الخ.

أو جنس: يُوالي على جنس العرب فقط، أو جنس العجم فقط، ولا يقيم لاسم الإسلام ولا لدعوى الإسلام مقامها وهذا من القوميات التي انتشرت في الزمان الأخير.

أو مذهب: سواء كان المذهب عقدياً أو فقهيّاً أو سلوكياً.

مذهباً عقدياً: مثل المعتزلة والخوارج والمرجئة، ونحو ذلك من المذاهب العقدية التي جاءت تسميتها بعد مضي الجماعة الأولى.

مذهباً فقهيّاً: مثل المذاهب الأربعة للأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة.

مذهباً سلوكياً: مثل مذاهب الصوفية وطرقها المختلفة كالشاذلية والخصافية والقادرية والنقشبندية.... الخ.

فهذه كلها من النسب التي هي من عزاء الجاهلية إذا تجاوزت التعريف إلى اعتقاد صحة ما عليه أهلها في كل شيء.

أو طريقة: سواء كانت طريقة صوفية، أو كانت طريقة دعوية، أو كانت حزبية، أو سياسية.

فإن هذا كله كان عند أهل الجاهلية، فجاء الله تعالى بهذا الإسلام فأبطل =

= كل عزاء جاهلية إلا ما كان فيه اسم المسلمين والمؤمنين.
❖ وهذه التسميات الحادثة في هذه الأمة بأنواعها سواء كانت بنسب أو قبيلة أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فإنها على ثلاث حالات:
الحالة الأولى: أن تكون ممدوحة.
وذلك إذا كانت من التسميات التي تُميز المسلمين بما نُصِّ في الكتاب والسنة على حسنه، وعلى اعتباره.
- فالله تعالى سمي المسلمين باسم الإسلام والإيمان.
- وكذلك الوصف بأوصاف حسنة مثل: المتقين، الأبرار، فهذه أوصاف لاسم المسلم والمؤمن كلُّ له نصيب بحسبه
- وكذلك ما جاء بالوصف كلزوم السنة والجماعة، فاسم السنة والجماعة من الأسماء التي جاءت في الأحاديث وأصلها في القرآن.
ولهذا يُسمى خاصة أهل الإسلام: أهل السنة والجماعة؛ لأنهم لزموا سنة النبي ﷺ ولزموا جماعة المسلمين، والنبي ﷺ هو الذي أذن بهذه التسمية بقوله في حديث الافتراق: (وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي؟ قال: هي الجماعة) وفي رواية: (ما أنا عليه اليوم وأصحابي)، وقال في حديث العرياض: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي).
ولذلك أئمة السلف وأهل الحديث أقاموا هذا الاسم مقام الأسماء =

=المحدثة، فلما تفرقت الأسماء وتعددت رجعوا إلى الاسم الذي يميز أهل الإسلام المتمسكين بالأمر الأول عما عداهم.

ولذا سموا المتمسكين بالأمر الأول: أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث وأهل الأثر، وأتباع السلف، والسلفية ونحو ذلك، وهذه كلها في معنى واحد، لأنها ترجع بالأمر إلى ما كانت عليه الجماعة الأولى التي نص النبي ﷺ على أنها ناجية.

الحالة الثانية: أن تكون مذمومة.

وهذه مما حدث في الأمة من الأهواء المختلفة التي اتخذت لنفسها اسماً يخالف الاسم الذي كان عليه الصحابة كالجوارح، والمرجئة، والمعتزلة وأشباه ذلك.

وكل تسمية فيها إشارة لمذهب يشتمل على باطل في العقيدة أو باطل في السلوك فإن التسمية في نفسها مذمومة، ولو لم يقترن بها شيء آخر فكيف إذا اقترن بها التعصب، أو اقترن بها بدع أخرى؟!

ويدخل فيها الأسماء المحدثة للجماعات الإسلامية بأنواعها التي جعلت لها أسماء يصدق عليه أنه اسم لحزب يميز هذا الحزب عن غيره، كحزب التحرير، وحزب الإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ وغيرها، فهذه تسميات محدثة وهي مذمومة؛ لأن الاسم في نفسه مشتمل على دعوى تفرق المسلمين وتنصر من كان في هذا الحزب دون غيره.

بل لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري : يا للمهاجرين ،
وقال الأنصاري : يا للأنصار قال ﷺ : (أبدعوى الجاهلية وأنا بين
أظهركم؟) وغضب لذلك غضباً شديداً) انتهى كلامه.

=الحالة الثالثة : أن تكون مباحة.

وهي الأسماء المحدثه للتعريف ، وليس للموالة والمعادة فيه أو للتعصب
عليه.

فالله تعالى سمى المهاجرين مهاجرين ، وسمى الأنصار أنصاراً ، وصار هذا
الاسم باقياً عليهم ، كما نادى الرسول ﷺ قريباً باسمها ، وكذا القبائل
وهذا كله للتعريف فلا حرج في ذلك ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَجَعَلْنٰكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ للحجرات : ١٣.

وكذا النسبة إلى المذاهب الفقهية من باب التعريف.

والنسبة إلى البلد والإقليم والجماعة ، مثل جماعة تحفيظ القرآن الكريم
كل هذا من التسمية المباحة إذا كان للتعريف. ولكن متى تحولت إلى تعصب
وموالة ومعادة فإنه يجب إبطال هذا التعصب وهذه الموالة والرجوع إلى
الأصل في ذلك.



باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه^(١).....

(١) لما ذكر في الباب المتقدم (باب وجوب الإسلام) ذكر هنا (باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه) لبيّن أن الفضل الكامل للإسلام إنما يكون لمن دخل الإسلام ، وعمل بشرائعه ، وترك ما يخالف الإسلام فهذا هو الذي يتحقق له الفضل ، وهو الذي يجب على كل مسلم أن يفعله ، لا أن يأخذ بعضه ويترك بعضه فمن فعل ذلك فهو كافر بالإسلام. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [١٥٠-١٥١].

وقال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فالذي يؤمن ببعض الإسلام ويكفر ببعض هذا كافر بالجميع ، والواجب على كل مسلم أن يقبل الإسلام كله ، ويؤمن به كله ، ويعمل بما يستطيع منه ، أما أن يؤمن ببعض ويكفر ببعض ، أو يأخذ منه ما وافق هواه ، ويترك ما خالف هواه ، هذا لا يجوز.

وقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾^(١)

[البقرة: ٢٠٨].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ

إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٢) [النساء: ٦٠].....

(١) وقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾.

المراد بالسلم: الإسلام، ومعنى كافة: جميعاً، والمعنى: يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في جميع شرائع الإسلام، ولا تتركوا شيئاً منها. ومعلوم أن من شرائع الإسلام التي جاءت في الكتاب والسنة أن الله تعالى أمرنا بترك ما سوى الإسلام سواءً من الكفر أو من البدع والمحدثات، أو من المعاصي التي نهى الله جل وعلا عنها.

(٢) وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا

أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: هذه الآية في بيان أن من الدخول في الإسلام كافة تحكيم الشريعة، فإنه من أمور الإسلام، فالذي يريد أن يتحاكم إلى الطاغوت فإنه بفعله هذا قد ضل ضلالاً بعيداً؛ لأنه ترك شيئاً من شعائر الإسلام لم يعمل بها، وأراد غير الإسلام.

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه =

= قال: (كان أبو بردة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه، فتنافر إليه أناس من أسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ ... الآية. اصحح الاستيعاب في بيان الأسباب لسليم الهالسي: ٤١٨/١.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾: استفهام استنكاري.

وقوله سبحانه: ﴿ يَزْعُمُونَ ﴾: دليل على أن دعوى الإيمان غير صحيحة، فلا يجتمع الإيمان مع إرادة الحكم والتحاكم إلى الطاغوت، فمن زعم أنه مؤمن، واختار حكم الطاغوت على حكم الله فهو كاذب.

وقوله سبحانه: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ للنساء: ٦٠: يريدون مجرد نية أن يتحاكموا إلى الطاغوت، فكيف لو حكموا كان الأمر أشد. إذا نوى بقلبه فهو ليس بمؤمن، فكيف إذا نفذ هذا؟!!

لهذا وصفهم الله ﷻ في آخر الآية بالضلال البعيد، ومن وُصف بالضلال لا شك أن عمله الذي استحق به هذا الوصف غير جائز. فالواجب عليهم أن يتركوا ما سوى الإسلام، وأن يعملوا بشرائع الإسلام.

وإتماماً للفائدة نورد مسألتين مهمتين:

المسألة الأولى: الحكم بغير ما أنزل الله تعالى متى يكون كفراً اعتقادياً (أكبر) ومتى يكون كفراً عملياً (أصغر)؟

=

= ذكر الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ في رسالته بتحكيم القوانين:
ص ٥ - ١٨.

- أن الحكم بغير ما أنزل الله تعالى يكون كفراً أكبر في ست حالات نوردها
مختصرة كالتالي:

- ١ - إذا جحد الحاكم أحقية حكم الله ورسوله.
- ٢ - إذا اعتقد الحاكم أن حكم غير الله مساوٍ لحكم الله.
- ٣ - إذا اعتقد الحاكم أن حكم غير الله أفضل من حكم الله.
- ٤ - إذا اعتقد الحاكم أن حكم غير الله ليس مساوٍ لحكم الله ، ولا أفضل من حكم الله ، ولكن جائز.
- ٥ - تحكيم القوانين الوضعية.
- ٦ - تحكيم سلوم القبائل.

- ويكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً أصغر: إذا حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق ، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى.

ثم قال: ولكن معصية سماها الله تعالى في كتابه كفراً أعظم من معصية لم يسمها كفراً.

المسألة الثانية: مسألة الحكم والتحاكم إلى غير شرع الله، وهذه لها أربع حالات ذكرها الشيخ صالح آل الشيخ في كتابه التمهيد شرح كتاب=

= التوحيد ص ٢٤٩، ٢٥٠ أذكرها هنا باختصار كما يلي :

الحالة الأولى: حال المشرّع، وهذا كافر، وكذا من أطاعه في تحليل الحرام وتحريم الحلال فقد اتخذه رياً من دون الله.

الحالة الثانية: حال الحاكم بذلك التشريع: وهذا فيه تفصيل:

أ) من حكم مرة أو مرتين أو أكثر، ولم يكن ديدناً له، وهو يعلم أنه عاص بتحكيم غير شرع الله، فهذا لا يكفر إلا أن يستحل.

ب) من لا يحكم بشرع الله بتاتاً، ويلزم الناس بغير شرع الله، فحكمه على قولين:

١ - لا يكفر حتى يستحل.

٢ - كافر؛ لأن مثل هذا لا يصدر في الواقع من قلب قد كفر بالطاغوت وهذا ما رجحه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وكذا صاحب (التمهيد) الشيخ صالح آل الشيخ.

الحالة الثالثة: حال المتحاكمين: وهذا أيضاً فيه تفصيل:

أ) إن كان يريد التحاكم إلى الطاغوت، وله رغبة في ذلك، ولا يكره ذلك، فهذا كافر.

ب) وإن كان لا يريد التحاكم ولا يرضاه، وإنما أجبر عليه، وكان الحق شرعاً له، ولا يتوصل إليه إلا بالتحاكم إلى القانون، جاز له التحاكم للوصول إلى حقه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي

شَيْءٍ﴾^(١) [الأنعام: ١٥٩].....

=الحالة الرابعة: حال الدول التي تحكم بغير شرع الله: وهذا بحسب ظهور ذلك في الدولة أو خفائه:

(أ) فإن كان الحكم بغير شرع الله خفياً نادراً، أو ظاهراً قليلاً ويُنكر بالدولة دولة إسلام.

(ب) وإن كان كثيراً فاشياً، فالدولة دولة كفر.

(١) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾: هذه الآية تدل على ذم

أهل الأهواء من الكفار وأهل البدع الذين فرقوا دينهم شيعاً وأحزاباً فهؤلاء لم يدخلوا في الإسلام جميعه، وإنما اتبعوا أهواءهم، فأنكر الله ﷻ

عليهم وقال: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ يعني أن الرسول ﷺ بريء من هذا

لأن دين الله واحد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾

آل عمران: ١١٩. وهذه الأمة أمة واحدة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هُدْيَةَ أُمَّتِكُمْ

أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وفي الآية الأخرى:

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. وحزب واحد، كما قال سبحانه:

﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. =

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ ... الآية لآل عمران: ١٠٦، تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف ^(١) ^(٢)

=وصراط الله واحد، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وإن ما يحصل الآن من انقسام المسلمين إلى جماعات وأحزاب، كل يدعو إلى جماعته وحزبه، ويضلل الأحزاب الأخرى ويتنقصهم هذا لا يجوز بين المسلمين، بل هو من أمور الجاهلية، فالمسلمون يد واحدة، وجماعة واحدة وحزب واحد، وإذا اختلفوا رجعوا إلى الكتاب والسنة كما أمرهم الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فمن كان معه الصواب رجعنا معه، ومن كان على خطأ يرجع عن خطأه، ولا يتعصب لرأيه، أو حزبه، أو جماعته.

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف: في هذه الآية التي أوردها ابن عباس رضي الله عنهما ثناء ووعيد: ثناء على أهل السنة =

=والائتلاف، الذين اجتمعوا على الحق وكانوا جماعة واحدة قائمة على الكتاب والسنة، ووعيد على أهل البدع والاختلاف، ثم بين مآل كل فريق.

فقال في أهل السنة: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

وقال في أهل البدع: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وأهل العلم يستدلون بما نزل في الكفر الأكبر على الكفر الأصغر أو على المعاصي والبدع.

وهذه الآية ظاهرة الدلالة على وجوب الدخول في الإسلام كله، لأن الله تعالى ذم أهل البدع والاختلاف، لأنهم لم يلتزموا بشعائر الإسلام، ولو التزموها لكانوا أهل سنة وائتلاف هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنهم لما لم يلتزموا شعائر الإسلام فإنهم لم يتركوا ما سوى الإسلام؛ لأن البدع والاختلاف ليس من الإسلام في شيء.

(٢) نقل ابن كثير رحمته الله قول ابن عباس رضي الله عنهما في شرح الآية فقال: (يعني يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة) لتفسير ابن كثير: ١ / ٣٩٨.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
 (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل
 حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية [الكان] في أمتي من
 يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل [تفرقت] على [ثنتين] وسبعين
 ملة، وتفرق [أمتي] على ثلاث وسبعين [ملة]، كلهم في النار إلا
 ملة واحدة قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه
 وأصحابي) ^(١).....

(١) قوله ﷺ: (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل....) هذا إخبار
 معناه التحذير من هذا الذي سيقع في آخر الزمان من مشابهة هذه الأمة لبني
 إسرائيل في التفرق والاختلاف، وإحداث المحدثات، وهذا خبر منه ﷺ
 ليتفطن المسلمون، فيسدوا كل ذريعة قد توصلهم إلى مشابهة الأمم
 السابقة.

– وقوله: (حذو النعل بالنعل): أي عند المشي تكون إحداهما حذو
 الأخرى أي مقابلة لها. أو حذو النعل بالنعل: مأخوذ من الحذو وهو
 القطع، لأنهم إذا أرادوا صنع النعال فإنهم يقطعون الجلود، ويقيسون
 بعضه على بعض، والمراد من هذا مماثلة هذه الأمة لبني إسرائيل في
 المحدثات.

وليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق الصدوق في هذا المقام، خصوصاً قوله: (ما أنا عليه وأصحابي). يالها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة^(١). رواه الترمذي^(٢).....

= وقوله: (حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمي من يصنع ذلك): هذا مبالغة في التشبه بهم، فبيّن أن مماثلة هذه الأمة لبني إسرائيل شديدة. وفي الحديث الآخر: (حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) وهذا فيه التحذير من التشبه باليهود والنصارى، وأنه خطر عظيم على المسلمين.

- وقوله: (وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة... في هذا إخبار منه ﷺ بافتراق أمته إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي التي بقيت على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، ومن لم يكن كذلك فهو في النار، إما لكفره، وإما لضلّاله، فليس كل الفرق كافرة، ولكن بعضها كافرة، وبعضها دون الكفر لكن كلها متوقعة بالنار، ولا نجاة من النار إلا باتباع الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

(١) قوله: (وليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق الصدوق في هذا المقام، خصوصاً قوله: (ما أنا عليه وأصحابي): أي ليتأمل المؤمن =

=الناصح لنفسه كلام الرسول ﷺ الصادق فيما أخبر به ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ
 الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣- ٤]، الصدوق عند الله تعالى
 وعند خلقه، وأن ما قاله عليه الصلاة والسلام من أمر الافتراق لا بد أن
 يحدث، ولا نجاة منه إلا بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه. وهذا
 يستدعي منا أن نتعلم ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه في العقيدة
 والعمل، لأن النجاة متعلق بهذا.

ثم قال: (يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة): أي أن هذه
 الموعظة من النبي ﷺ إنما يعقلها أهل القلوب الحية، الذين هم أهل
 الإيمان الصحيح.

يقول الشيخ صالح الفوزان: (فهذه الموعظة من الرسول ﷺ لو وافقت
 من القلوب حياة، لكان للقلوب معها شأن بالاعتبار والامتنال، والحرص
 على معرفة الحق والعمل به، وألا يكون الإنسان إمعة مع الناس
 أين ما كانوا، بل يكون مع الحق دائماً وأبداً، ولا يقلد بغير هدى تقليد
 الأعمى، بل عليه أن يعرف الحق أولاً، ثم يعمل به، ويدعو إليه
 وهذا هو الواجب على كل مسلم، أما أن تقول: دعوا الناس، حرية
 الرأي، الرأي والرأي الآخر، لا تتجروا على الناس، لا تضيقوا
 على الناس، هذا كلام باطل، هذا كلام أهل الضلال والعياذ بالله
 هذا مخالف لقول الرسول ﷺ، الواجب أن ندعوا الناس إلى الصواب =

= وإلى الحق، لا نقرهم على ضلالهم، وعلى ما هم عليه وتقول حرية الرأي. هذا ليس فيه حرية رأي، بل فيه الكتاب والسنة، لو كان فيه حرية رأي لما احتجنا إلى الكتب والرسول، بل كل يتبع رأيه ويتبع عقله، فالرأي إذا خالف الوحي يجب أن يترك، وأما إذا وافق الوحي فالحمد لله.

يقول علي عليه السلام: (لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يمسح أعلى الخف) فالدين ليس بالرأي بل بالاتباع). اهـ.

(٢) رواه الترمذي في سننه بإسناد حسن. اصحح سنن الترمذي: ٢١٢٩.

وحديث الافتراق مروى من طريق ثلاثة عشر صحابياً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحها حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي ذكره المؤلف وليس فيه ذكر النار، وهو قوله: (كلهم في النار) اصحح سنن الترمذي: ٢١٢٨.

وأيضاً جاء في حديث معاوية بإسناد حسن - كما سيورده المؤلف صلى الله عليه وسلم - وجاء من حديث أبي أمامة بأسانيد حسنة، جاء في بعض ألفاظها: (الجماعة)، وفي بعضها: (ما أنا عليه وأصحابي) وفي بعضها: (السواد الأعظم) وهذه الألفاظ الثلاثة كلها تدل على شيء واحد، وهو الاستمسك بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم.

ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه، لكن ليس فيه ذكر النار^(١)، وهو في حديث معاوية عند أحمد وأبي داود^(٢) وفيه: (وإنه سيخرج من أمتي [أقوام تجارى] بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلبُ بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله)^(٣). وتقدم قوله: (ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية).....

(١) أي ليس فيه قوله رضي الله عنه: (كلهم في النار) وهذا الحديث أخرجه الترمذي أيضاً في سننه [صحيح سنن الترمذي: ٢١٢٨].

(٢) انظر المسند: ١٦٩٣٧، وإسناده حسن، وسنن أبي داود برقم [٤٥٩٧] وإسناده حسن، وهو في صحيح سنن أبي داود برقم [٣٨٤٣].

(٣) قوله رضي الله عنه: (أنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء...)
 نهى الله ﷻ عن اتباع الهوى فقال: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤٣]، وقال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجنابة: ١٢٣].

فالذي يبلغه الحق ولا يتبعه، ولا يقبله هذا متبع لهواه، ويُعاقب بأن الله يختم على قلبه فلا يقبل الحق بعد ذلك عقوبة من الله، فاتباع الهوى شر =

=والواجب على المسلم أن يتبع الحق سواء وافق هواه أو خالفه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾^٤ للمؤمنون: ٢٧١.

وفي آخر الزمان تكثر الأهواء في الناس، (تجارى بهم): بمعنى أنها تدخل في عروقهم. (كما يتجارى الكلب): وهو مرض من عضه الكلب الذي يُصاب بالسعار، ويسمى داء الكلب، فإذا عضه الكلب فإن ريقه يدخل في جسم الإنسان، ويدخل في عروقه، ولا علاج له، ثم يموت في النهاية فكذلك الأهواء مثل داء الكلب تتجارى في الناس وهذا الأمر نشأه الآن، والناس يتفرقون بالأهواء، ولا علاج لهم إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة، على فهم السلف الصالح.



باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر^(١).....

(١) عقد الإمام عليه السلام هذا الباب تحذيراً من خطر البدعة وأنها أشد من كبائر الذنوب.

والبدعة لغة: الشيء المحدث على غير مثال سابق. ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ط﴾ للبقرة: ١١٧، أي أن الله خلق السموات والأرض من عدم، وأوجدهما على غير مثال سابق. والبدعة شرعاً: إحداث شيء في الدين ليس له أصل من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله عليه السلام.

وقد أكمل الله تعالى لنا الدين قبل وفاة النبي عليه السلام، فقال عز من قائل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ط﴾ للمائدة: ٣، فكل عبادة ليس عليها دليل من كتاب ولا سنة فهي مذمومة مردودة.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله عليه السلام: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه. (صحيح البخاري: ٢٥٥٠، صحيح مسلم: ١١٧١٨) وفي رواية لمسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) (صحيح مسلم: ١١٧١٨).

والبدعة شر ولو حسن قصد فاعلها؛ لأن الرسول عليه السلام قال: (إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها) =

= [صحيح مسلم: ١٨٦٧]. فهذا دليل على أن البدعة شر لا خير فيه أبداً. كما أنه ليس هناك بدعة حسنة كما يقول أهل البدع؛ لأن الرسول ﷺ قال: (وكل بدعة ضلالة) [صحيح مسلم: ١٨٦٧]. فمن أتى بعبادة أو عمل يتقرب به إلى الله، وليس له دليل من كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ فهو بدعة وضلالة وشر، وما حدثت بدعة إلا ورفع مثلها من السنة. وقد اهتم العلماء بالتحذير من البدع، وألفوا مؤلفات كثيرة في ذلك مثل: كتاب الاعتصام للشاطبي، و[البدع والنهي عنها] لابن وضاح و[الباعث على إنكار البدع والحوادث] لأبي شامة، وغيرها. والذنوب تنقسم إلى قسمين:

(أ) صفائر: جاء النهي عنها، ولم يرتب عليها شيء مما ذكر في الكبيرة. وقد ذكرت في القرآن باسم (اللمم)، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ حَتَّابُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢].

(ب) كبائر: كل ذنب ترتب عليه حد في الدنيا، أو غضب، أو وعيد أو لعنة، أو تبرؤ من فاعله.

وأكبر الكبائر: الشرك بالله تعالى؛ لأن الله أخبر أنه لا يغفر لصاحبه. والكبائر التي دون الشرك تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، هذا إذا لم يتب منها في الدنيا.

ومرتكب الكبيرة - دون الشرك - لا يكفر عند أهل السنة، وإنما يكون =

لقوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاءُ﴾ ^(١) [النساء: ٤٨].....

= ناقص الإيمان أو فاسقاً.

وأما عند الخوارج فهو كافر في الدنيا، وعند المعتزلة في منزلة بين المنزلتين
وأما في الآخرة فهو خالد مخلد في النار عند الخوارج والمعتزلة.

والبدعة أشد من الكبائر من عدة وجوه:

الأول: أن البدعة إحداث في الدين لم يشرعه الله، وصاحبها يظن أنها من
الدين، وأما مرتكب الكبيرة فلا يدعي أنها من الدين، بل يعترف أنه
عاصي، ولكن قاداته الشهوة فوق في المعصية.

الثاني: أن صاحب البدعة يرى أنه على حق، وأن عمله صحيح، ولذلك
قل أن يتوب، بينما صاحب الكبيرة يعرف أنه مخطئ، ويرجى أن يتوب.

الثالث: أن المبتدع يفترى على الله الكذب، فيشرع ما لم يشرعه الله ﷻ ولا
رسوله ﷺ، بخلاف العاصي الذي يعرف أن فعله هذا محرم، وأنه عاصي.

الرابع: أن المبتدع يقتدي به الناس، ويتبعون الله ببدعته، وخصوصاً إذا
كان عنده نصيباً من العلم، وعنده عبادة وتقى وورع، بخلاف العاصي فإن
الناس يمتنون به، ويذمون به، ولا يقتدون به.

(١) وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ =

= ذكر الإمام رحمه الله هذه الآية تحت باب (ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر) لينبه إلى أن البدعة قد تكون شركاً؛ لأن الله عز وجل خلق الخلق لعبادته، فإذا عبدوا معه غيره فقد أحدثوا في دين الله ما ليس منه. وهذا أعظم البدع لأنه شرع ديناً لم يأذن الله به، ولا يرضى به. والبدعة الشركية تخرج من الدين، ولا يغفرها الله تعالى إلا بالتوبة فإذا مات عليها فهو مخلد في النار، ومن أمثلتها: دعاء غير الله تعالى والاستغاثة بالأموات، والذبح للقبور.

وعلى هذا يمكن تقسيم البدع - من حيث عظم الذنب - إلى ثلاث درجات:

١ - البدع المكفرة: وهي بدع الشرك، والبدع التي تخل بأصول الإسلام الناقضة للدين، حتى ولو لم تكن شركاً مثل: إنكار المعلوم من الدين بالضرورة، أو الإعراض عن الدين بالكلية، حتى ولو لم يكن في ذلك شيء من الشرك الصريح فإنه يعد من البدع المكفرة.

٢ - البدع المغلظة: وهي من كبائر الذنوب، ومن أعظم الكبائر والبدع المغلظة، وهي الأكثر مما يقع فيه أهل البدع في العصور المتأخرة والتي منها الموالد البدعية، والبناء على القبور، واتخاذ المزارات والمشاهد، والتبرك بما لم يرد الشرع ببركته.

٣ - البدع الصغيرة: وهي التي يقع فيها أكثر جهلة المنتسبون إلى البدع - إذا لم يقعوا في كبائر البدع - وقد يقع فيها المنتسبين إلى السنة مثل: التزام =

وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ

النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾^(١) [الأنعام: ١٤٤].....

وقوله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ

الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾^(٢) [النحل: ٢٥].....

= المسبحة عند التسييح، وبعض التصرفات عند المآتم والجنائز.

(١) وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ =

= الكذب على الله ﷻ باب واسع يدخل فيه التشريع بما لم يشرعه الله والابتداع في دين الله، ونسبة البدع إلى الشرع، وهذا داخل في الافتراء على الله تعالى بالكذب.

(٢) وقوله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ

يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾: أراد الإمام أن يبين أن صاحب البدعة يتحمل وزره ووزر من يقتدي به إلى يوم القيامة، لأنه قدوة للناس فيتبعونه، خصوصاً إذا كان يدعو إلى البدعة ويحسنها، وكم من بدعة انتشرت في الناس وتوارثوها جيلاً بعد جيل بسبب المبتدع الأول الذي اخترعها فيأخذ آثام كل من اتبعه.

ولهذا جاء في الحديث: (لا تُقتل نفسٌ ظالماً إلا كان على ابن آدم الأول =

وفي الصحيح^(١) أنه ﷺ قال في الخوارج: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم) وفيه^(٢) أنه: (نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا)^(٣).....

=كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل) متفق عليه. اصحيح البخاري:

٣١٥٧، صحيح مسلم: ٤١٦٧٧.

فكل من قتل نفساً بغير حق يلحق ابن آدم الأول كفل من دمه، والعياذ بالله.

(١) صحيح البخاري: ٣٤١٥.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وهو بمعناه في حديث عوف بن مالك الأشجعي

وفيه: (وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم

ويلعنونكم، قال: قلنا يا رسول الله أفلا ننايهم عند ذلك؟ قال: لا، ما

أقاموا فيكم الصلاة) اصحيح مسلم: ٤١٨٥٥.

(٣) ذكر حديث الأمر بقتل الخوارج مع حديث النهي عن قتل أمراء الجور

دليل على فقه الإمام ﷺ ودقة استنباطه بعبارة وجيزة تشبه طريقة الإمام

البخاري ﷺ في تصنيفه للصحيح.

فسياقه لهذا الحديث على هذا الوجه والاختصار يقصد به أن البدعة أغلظ

من كبائر الذنوب، بدليل أن النبي ﷺ أباح قتل الخوارج لبدعتهم ومع

ذلك لم يجوز قتل أمراء الجور؛ لأن عملهم من جملة المعاصي، وليس من=

=أنواع البدع.

والخوارج: هم الذين يخرجون على ولاة أمر المسلمين، ويخلعون السمع والطاعة، ويخرجون عليهم بالسيف ويكفرونهم، ويستحلون دماءهم. وقد أمر النبي ﷺ بقتلهم لكف شرهم، والقضاء على بدعتهم؛ لأنه من أصول أهل السنة والجماعة السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، لما يترتب على ذلك من المصالح العظيمة من حقن الدماء، واجتماع الكلمة وإقامة الحدود فإذا انتقض الأمر ضاعت هذه المصالح، وسُفكت الدماء وانتهكت الأعراض والأموال، وعطلت الحدود... إلى غير ذلك.

فمن خرج عن هذا فقد ابتدع في دين الله ما ليس منه، وإن كانوا يظنون أنهم ينكرون المنكر، ويجاهدون في سبيل الله؛ بل إن المنكر الذي ارتكبوه بخروجهم أشد من المنكر الذي يزعمون أن ولي الأمر فعله، أو أنه فعله بالفعل، فالخروج عليه أشد مفسدة.

وخطر الخوارج ليس على ولاة الأمر فحسب، بل كذلك على الأمة، لذا فقد أمر النبي ﷺ بقتلهم، وقد قاتلهم عليٌّ ؑ وقتل منهم مقتلة عظيمة يوم النهروان، ولا يزال ولاة أمر المسلمين يقاتلونهم كلما ظهرت منهم طائفة، كما جاء في الحديث: (كلما ظهر منهم قرن قُطِع) اصحيح سنن ابن ماجه: 1144.

وأمر الجور: يعني بهم الأمراء العصاة، الذين معصيتهم دون الكفر ولو=

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رجلاً تصدق بصدقة، ثم تتابع الناس، فقال رسول الله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل

= كانوا فساقاً، فإنه لا تنخلع طاعتهم والسمع والطاعة لهم، وفسقهم ضرره عليهم، وأما الخروج فضرره على المسلمين، ولا شك أن المعصية ضرر ولكن الخروج على ولي الأمر، وشق عصا الطاعة أشد ضرراً من المعصية نفسها.

وفي قوله ﷺ: (ما صلوا): فيه دليل على مكانة الصلاة في الإسلام وأن من ترك الصلاة كفر، فالرسول ﷺ جعل الصلاة مانعة من القتل ومانعة من الخروج على ولي الأمر، وإن كان عنده مخالفات ومعاصي، فإنه يُصبر عليه، لما في ذلك من المصلحة العظيمة التي تربو على مفسدة معصيته في نفسه.

وأصل الحديث قوله ﷺ: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ومحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قال: قلنا: يا رسول الله، أفلا نتابذهم عند ذلك؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة) [صحيح مسلم: 1855].

بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء^(١)

(١) سبب هذا الحديث قصة: وهي أنه جاء قوم من مضر إلى النبي ﷺ وقد بدا عليهم الفقر والحاجة، فرقَّ النبي ﷺ لهم لما رأى من حالهم ويؤسهم ثم نادى بالصلاة، وخطب وحث على الصدقة، ورغب فيها، فجاء رجلٌ معه صرة من الذهب كادت يده أن تعجز عنها، فوضعها بين يدي الرسول ﷺ فتهلل وجهه وسُرَّ سروراً عظيماً، وتتابع الناس في الصدقة حتى اجتمع كوم من الصدقات عند الرسول ﷺ فقال: (من سن في الإسلام سنة حسنة...) فهذا الحديث عام في كل من عمل خيراً واقتدى الناس به، وهو يمثل قاعدة عظيمة من قواعد الشرع.

ومعنى قوله: (من سن في الإسلام سنة حسنة): أي من أحيا سنة، وذلك لأن الصدقة سنة، وهذا الرجل أحياها وأتى بمال كثير، فالناس تتابعوا من بعده، فكان هو السبب فله أجرها، وأجر من عمل بها، ولا يكون الفعل سنة حسنة إلا وقد جاء الأمر به في الشريعة؛ لأن الله قد أكمل لنا الدين.

ومعنى قوله: (ومن سن في الإسلام سنة سيئة): يعني من ابتدع بدعة وأحدث في الإسلام ما ليس منه. فمثل هذا يكون عليه وزرها ووزر من عمل بها. فهذا فيه تحذير من إحداث البدعة، وأن شرها لا يقتصر على من فعلها، بل يذهب قسط منها على من أحدث البدعة.

وهذا الحديث يقبله أهل الأهواء في الاستدلال على مشروعية البدع، فمن =

رواه مسلم^(١)

وله مثله من حديث أبي هريرة^(٢) ولفظه: (من دعا إلى هدى...
ثم قال: من دعا إلى ضلالة^(٣)).

=ابتدع صلاة أو تسيحاً أو صدقة أو نحو ذلك مما لم يُشرع فذلك داخل في
الحسنة - زعموا -.

ولا شك أن ذلك قلب للحقائق، لأنه لو كان الأمر كذلك لما فرق الرسول
ﷺ بين النوعين هذا أمر.

والأمر الآخر: أن السنة الحسنة لا يمكن أن تكون حسنة إلا إذا أقرها
الشرع، فإذا أقرها الشرع دلّ على أن ذلك مشروع.

(١) في إصحيحه: ١٠١٧.

(٢) انظر إصحيح مسلم: ١٢٦٧٤، ولفظه: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر
مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى
ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم
شيئاً).

(٣) قوله: (ومن دعا إلى هدى...): فيه فضل الدعوة إلى الله ﷻ، والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الأجر يحصل لمن فعل ذلك، ويحصل له
أجور كل من اقتدى به، وسار على منهجه إلى يوم القيامة.

=والله ﷻ يقول في بيان فضل الداعية: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾. افضلت: ٣٣. والدعوة هي سنة المصطفى ﷺ، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٠٨﴾. ليوسف: ١٠٨.

كما يتضمن الحديث التحذير من الدعوة إلى الضلال والبدع والمحدثات وعبادة القبور والأضرحة، والدعوة إلى التجديد في الدين - كما هو حاصل الآن - والترغيب في البدع والمعاصي، فهذا عليه إثمه وإثم من اقتدى به وسلك منهجه إلى يوم القيامة.

وهذا فيه تحذير من دعاة الضلالة، ويدخل فيه الدعاة إلى البدع؛ لأن كل بدعة ضلالة كما قال الرسول ﷺ.



باب ما جاء أن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة^(١).....

(١) هذا كما سبق في بيان الوجوه التي تكون البدعة فيها شرًّا من الكبيرة، وهو أن صاحب البدعة لا يوفق للتوبة ويصر على بدعته - وهذا هو الغالب - بخلاف صاحب المعصية فإنه يعرف أنه مخطئ ومخالف، فسرعان ما يتوب لأنه يخاف من الله ويخشى من العقوبة.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قول سفيان الثوري رضي الله عنه: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، فإن المعصية يُتاب منها والبدعة لا يتاب منها) ثم فسره بقوله: (أن المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسناً، فهو لا يتوب ما دام يراه حسناً؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيئ ليتوب منه، أو بأنه ترك حسناً مأموراً به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله. فما دام يرى فعله حسناً وهو سيئ في نفس الأمر فإنه لا يتوب) (مجموع الفتاوى: ١٠/٢٩).

وليس المقصود من هذا التوبيخ - الذي هو حديث في أصله كما سيأتي بيانه - أن صاحب البدعة لو تاب أن الله لا يتوب عليه، بل إن الله يتوب على المشرك، ومن هو أعظم إثماً من صاحب البدعة، ولكن المراد باحتجاز التوبة أن الله تعالى لا يوفقه إليها، وذلك لأسباب منها:

(أ) ما ظهر من مقتضى النصوص: (يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون) فبين هذا الحديث أنهم لا يرجعون عن =

=بدعتهم إلى السنة، أي لا يوفقون إلى توبة كما ذكر الإمام أحمد ابن حنبل.

(ب) ما ظهر من مقتضى الواقع: فإنه يندر أن تجد صاحب بدعة يتوب وخاصة دعاة البدع، ورؤوسهم، وأما الأتباع والهمج فهؤلاء ليس لهم حكم؛ لأنهم لم تؤصل في نفوسهم البدعة، وتكون فطرهم قابلة للحق متى ما استمعوا للحق رجعوا إليه. ولذا لم نسمع في تاريخ أهل البدع والأهواء من رجوع رؤوس البدع إلى الحق إلا عدداً لا يتجاوز العشرات - إذا بالغنا في التمحيص - وذلك مثل الأشعري، والجويني، والرازي وأبو حامد الغزالي، فهؤلاء من كبار أئمة أهل الكلام ومن المؤصلين للبدع، ولهم من العلم والفقہ ما كان سبباً لتوبتهم، ولعل الله تعالى علم صلاح نياتهم، وتعظيمهم للعلم الشرعي فوقفهم إلى التوبة، وقد بين شيخ الإسلام رحمته الله إمكانية ذلك بقوله: (ولكن التوبة منه - المبتدع - ممكنة وواقعة، بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق، كما هدى رحمته الله من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف من أهل البدع والضلال، وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه.


فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد: ١٧). وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعاً لهواه، فإن ذلك يورثه الجهل والضلال =

هذا مروياً من حديث أنس^(١)، ومن مراسيل الحسن^(٢)، وذكر ابن وضاح^(٣) عن أيوب قال: كان عندنا رجل يرى رأياً فتركه، فأتيت محمد بن سيرين فقلت: أشعرت أن فلاناً ترك رأيه؟ قال: انظر إلى ماذا يتحول، إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله: (يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه^(٤)).....

=حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ

قُلُوبَهُمْ^٤ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٢٥] للتحفة العراقية في الأعمال

القلبية ص ٢٩٧ - ٢٩٩.

(١) أي الحديث: (إن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة) رواه أنس .

وقال الألباني: إسناده صحيح. للسلسلة الصحيحة: ١٦٢٠.

ولفظه في السلسلة الصحيحة: (إن الله احتجز التوبة عن صاحب كل بدعة).

(٢) أي الحسن البصري، والرواية في كتاب (البدع والنهي عنها) لابن وضاح ص ٦٢، بلفظ: (أبى الله لصاحب بدعة بتوبة).

(٣) في كتابه (البدع والنهي عنها) برقم ١٤٧، وإسناده صحيح.

(٤) هذه القصة التي أوردها ابن وضاح في كتابه تدل على أن المبتدع لا يتوب وأنه لا يترك البدعة إلى سنة، بل إلى بدعة أخرى، ولذلك قال=

وسئل أحمد بن حنبل عن معنى ذلك فقال: (لا يوفق للتوبة)^(١).

=ابن سيرين: (انظر إلى ماذا يتحول) وهذا من فقه ابن سيرين رحمه الله إذ لم يتوقع منه أنه تاب من البدعة، بل توقع أنه خرج من البدعة إلى بدعة أشد منها، واستشهد لذلك بقوله رحمه الله: (يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه)، وهذا من دلائل نبوته رحمه الله عندما ذكر هذا الحديث في الخوارج، فوقع ما أخبر به.

(١) قوله: (وسئل أحمد بن حنبل عن معنى ذلك فقال: (لا يوفق للتوبة):

وذلك لأن التوبة هي الرجوع عن البدعة، فهؤلاء لا يرجعون.

وهذا الأثر أورده محمد السفاريني في اغذاء الألباب لشرح منظومة الاداب

٤٨٣/٢ بلفظ: (سئل - الإمام أحمد - عن ما روي عن النبي رحمه الله): (إن

الله احتجر التوبة عن كل صاحب بدعة) وحجر التوبة أي ش معناه؟ قال

أحمد: لا يوفق ولا ييسر صاحب بدعة).



باب قول الله تعالى :

﴿ يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾

قول الله تعالى : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا

أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِيَّةٍ ۚ ﴾ آال عمران: ١٦٥ - إلى قوله -

﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(١) آال عمران: ١٦٧.

(١) في هذه الآيات ينكر تبارك وتعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل عليه السلام، ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم، كما روى محمد بن إسحاق بن يسار، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعا عنده، فقالت الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً فأنزل الله تعالى : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِيَّةٍ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهودياً، وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى؟ وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانياً، وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر؟ ولهذا قال : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

ثم قال تعالى : ﴿ هَاتِنِمْ هَتُولَاءِ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ =

=فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴿...الآية. هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به، فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لم يعلموا فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم الأمور على حقائقها وجليلاتها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿مَا كَانَتْ إِِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾: أي متحنفاً عن الشرك، قاصداً إلى الإيمان. مسلماً موحداً؛ لأن الإسلام هو التوحيد، وهو دين جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام وإن اختلفت شرائعهم. فالإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له بما شرعه في كل وقت بحسبه، فالذين آمنوا بالتوراة وعملوا بها في وقتها مسلمون والذين آمنوا بالإنجيل وعملوا به في وقته مسلمون، والذين آمنوا بالقرآن وعملوا به مسلمون.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: تبرئة لإبراهيم ﷺ أن يكون على دين الشرك الذي عليه اليهود والنصارى وذلك لأنهم حرفوا التوراة والإنجيل، وأشركوا بالله، وعندهم كفریات ليست من دين إبراهيم ﷺ ولا من دين موسى ﷺ، ولا من دين عيسى ﷺ، ولا من دين جميع الأنبياء ﷺ، وإنما هم الذين ابتدعوها ونسبوها إلى أنبياء الله. لذا فقد =

وقوله: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ۗ وَلَقَدِ

أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٠﴾ ^(١) [البقرة: ١٢٠].....

=براً لله ﷻ إبراهيم من الشرك الذي عليه هؤلاء وأن العبرة ليست بالانتساب ولكن بالاتباع. لذا قال بعد هذه الآية: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾
آل عمران: ٦٨، المصباح المنير ص ١٧٧، ١٧٨ - شرح فضل الإسلام للشيخ صالح الفوزان.

(١) وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ۗ ﴾.

يقول تبارك وتعالى رداً على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله المخالف لملة إبراهيم الخليل إمام الحنفاء فإنه جرد توحيد ربه تبارك وتعالى فلم يدع معه غيره، ولا أشرك به طرفة عين، وتبرأ من كل معبود سواه وخالف في ذلك سائر قومه، حتى تبرأ من أبيه، فقال: ﴿ يَنْقُومِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۗ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٠﴾ [الأنعام: ٧٨ - ٧٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٨٠﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ۗ

﴿ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧]، المصباح المنير ص ١٨٥.

وفيه حديث الخوارج ، وقد تقدم ^(١)

=ولهذا قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ : عن طريقته ومنهجه وملته ، وهي التوحيد والإخلاص لله ﷻ ﴿ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ والسفه : الحيف ، أي أنه سفه في نفسه ، وهو يزعم أنه عاقل حكيم مدرك للأمر فالذي يترك ملة إبراهيم ﷺ هو السفه . اشرح فضل الإسلام للشيخ صالح الفوزان .

ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ : أي اخترنا إبراهيم ﷺ في الدنيا للهداية والرشاد من حادثة سنه إلى أن اتخذه الله خليلاً ، وهو في الآخرة من الصالحين السعداء . للمصباح المنير ص ١٨٥ .
وقد أورد الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ هذه الآيات هنا ليبين أن من خصائص الإسلام أنه هو المهيمن ، وأنه هو الحنيفية ملة إبراهيم ﷺ وأنه وصية إبراهيم ﷺ ، وأن من رغب عنه فقد وقع في السفه ، وأن من فضل الإسلام أنه جمع خصائص ملة إبراهيم ﷺ ، ومن ضمنها الديانات التي جاءت بعده ، وأنه جاء عاماً لجميع البشرية .

(١) يقصد حديث : (يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه) والمراد بيان أن هؤلاء - الخوارج - بالرغم من كثرة عبادتهم إلا أن ذلك لم ينفعهم ، لأنه لا ينفع المرء إلا متابعة السنة ، وطريقة الرسول =

وفي [الصحيح] ^(١) أنه ﷺ قال: (إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما أوليائي المتقون) ^(٢).....

= ﷺ وأصحابه في العقيدة والعمل ، كما لم ينفع اليهود والنصارى انتسابهم إلى إبراهيم ﷺ ، فالعبرة ليست بالانتساب ، ولكن بالاتباع فقد كان منهج الخوارج الباطل سبباً في خروجهم من الإسلام لما استغنوا عن متابعة الكتاب والسنة ، واستندوا على عقولهم وآرائهم الفاسدة.

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والحديث موجود في صحيح البخاري: ٥٦٤٤ ، صحيح مسلم: ٢٠١٥ ولكن في آخره: (إنما وليي الله وصالح المؤمنين).

(٢) قوله ﷺ: (إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء...) : فقوله: (بأولياء) من الولاية: وهي المحبة. وأما الولاية - بالكسر - : الملك والسلطة ، فالرسول ﷺ يتبرأ ممن ليس على دين التوحيد ، ولو كانوا من أقاربه في النسب كأبي لهب عم الرسول ﷺ ، ويجب المتقين ولو لم يكونوا من أقاربه في النسب كسلمان الفارسي ، وبلال بن رباح ، وصهيب الرومي فقد كانوا موالى ومع ذلك صاروا من أقرب الناس وأحبهم إلى الرسول ﷺ . إذا ليست المسألة مسألة قرابة ، ولا شرف للإنسان بقرابته من الرسول ﷺ بدون الدين ، وأما إذا كان على دين الرسول ﷺ وقريباً له فقد اجتمع =

وفيه أيضاً^(١) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا أكل اللحم، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر، فقال صلى الله عليه وسلم: (لكنني أقوم وأنام أصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وأكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(٢).....

=له شرفان: شرف الدين، وشرف القرابة.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: (إنما أوليائي المتقون): إشارة إلى أنه من كمال الإسلام أنه يشتمل على صلاح القلوب، وصلاح الأعمال، فالإنسان لا ينال ولاية الله بالدعوى، وإنما ينالها بالتقوى والعمل الصالح.

(١) صحيح البخاري: ٤٧٧٦، صحيح مسلم: ١٤٠١.

(٢) هذا الحديث يتضمن عدة فوائد منها:

أ) التحذير من الغلو في العبادة، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك في أحاديث عدة من ذلك قوله: (إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين) إسناده صحيح. لمسند الإمام أحمد: (١١٨٥١)، فالوسطية في العبادة تعين المرء على المداومة والاستمرار، وأما إذا اشتد فيها فإنه يميل ويتركها، والقدوة الحسنة في العبادات هو رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ =

=الآخر (الأحزاب: ١٢١)، فلا يجوز العدول عن طريقة الرسول ﷺ.

(ب) أن حسن نية المبتدع لا يُجوز بدعته، فهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم لم يرد على أذهانهم مسألة الابتداع وإنما الذي ورد على أذهانهم صريحاً من خلال القصة أنهم أرادوا أن يعبدوا الله تعالى على أصول موجودة في الدين، لكن على غير ما أمر به الشرع تفصيلاً، ومع ذلك نهاهم الرسول ﷺ وشدد عليهم بقوله: (من رغب عن سنتي فليس مني).

(ج) في هذه القصة دلالة على أن الدين يجب أن يؤخذ جملة وتفصيلاً، فلا يتعبد الله بصيام أو صلاة على غير وجه شرعي.

ولا يتحقق الاتباع للرسول ﷺ إلا إذا كان العمل موافقاً للشرع في ستة أمور:

الأول: السبب: فإذا تعبد بعبادة بسبب غير شرعي، فهي بدعة مثل: إحياء ليلة الإسراء والمعراج.

الثاني: الجنس: فإذا تعبد العبد لله بعبادة لم يشرع جنسها، فهي غير مقبولة مثل: الأضحية بفرس.

الثالث: القدر: فلو زاد العبد في صلاته ركعة، فعمله مردود، وكذا الزيادة في الأذكار الشرعية، فلا بد من الوقوف على القدر المأمور به والتعبد به.

الرابع: الكيفية: فلو نكس إنسان في وضوئه، لم يقبل منه.

الخامس: الزمان: فلو ضحى المرء في شهر رجب، أو صام رمضان في =

فتأمل إذا كان بعض الصحابة أراد التبتل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ وسُمِّي فعله رُغوباً عن السنة، فما ظنك بغير هذا من البدع، وما ظنك بغير الصحابة؟^(١).

=شهر شوال، لم يقبل منه.

السادس: المكان: بأن يقف في منى بدلاً من عرفة، فلا يقبل منه.

(١) قوله: (فتأمل إذا كان بعض الصحابة.... وما ظنك بغير الصحابة؟):

أي إذا كان هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم - وهم خير القرون - لما هموا بهذه الهمة أنكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وغلظ عليهم وهم صحابة، فكيف بغيرهم من متأخري القرون الذين تجاوزوا الحدود في الغلو والتطرف، أو في التساهل والميوعة، فالدين هو الاعتدال والوسط، ودين الله جل وعلا وسط واعتدال وصراط مستقيم، ليس فيه مشقة على النفوس، ولا تساهل وضياع، وإنما دين سمح، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ١٧٨]، وقوله سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ١٦]، وهذه ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في كل زمان ومكان، فلا يبقى الإنسان على الدين إلا بالاتباع، لأن من تساهل خرج عن الدين، ومن تشدد خرج عن الدين، ولا يثبت إلا إذا كان على الوسطية والاعتدال.



باب قول الله تعالى: ﴿ فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾

قول الله تعالى: ﴿ فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ

النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِن أَكْثَرُ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (١) الروم: ٣٠.....

(١) يظهر أن الإمام عقد هذا الباب ليبين أن فضل الإسلام لا يكون إلا لمن وجّه

قلبه لله تعالى، ووحد قصده إليه وثبت على ذلك حتى يتوفاه الله ﷻ.

- قوله تعالى: ﴿ فَأَقْرَ وَجْهَكَ ﴾: أي أخلص عملك؛ لأن إقامة الوجه

وإسلام الوجه معناه: إخلاص العمل لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ

أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ [البقرة: ١١٢]، فمعنى:

﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُ ﴾: أي أخلص عمله من الشرك. ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾: متبع

للسول ﷺ قد خلص عمله من البدع والمحدثات، فإذا اجتمع هذان

الشرطان:

(أ) الإخلاص لله في العمل.

(ب) والاتباع للسول ﷺ.

قُبِلَ هذا العمل.

- وقوله تعالى: ﴿ لِلدِّينِ ﴾: أي الدين الذي أمرك الله به وهو عبادة الله ﷻ =

=حده لا شريك له.

والدين هو التوحيد، والعمل، والصلاة، والصيام، وجميع ما شرعه الله من العبادات فهذا هو الدين.

- وقوله: ﴿حَنِيفًا﴾: الحنيف المقبل على الله المعرض عما سواه.

- وقوله: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾: أي أن الله جل وعلا فطر الناس على معرفته والإيمان به.

وقد حكى الحافظ ابن عبد البر أن المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل أن المراد بالفطرة في هذه الآية هي الإسلام. الاستذكار لابن عبد البر ٢٣٨٠/٨.

فالدين الحنيف هو الإسلام الذي فطر عليه الخلائق، فلو خُلِّي بين العبد وبين نفسه، وهو لم تتغير فطرته، فإنه ينصرف إلى الإسلام ويكون قابلاً له، مقرأً بربوبية الله ﷻ، ومؤمناً به، ما لم يعترضه عارض يمنعه من الاستقامة على هذه الفطرة التي خلقه الله جل وعلا عليها، مثل عارض تربية الوالدين له على المجوسية أو النصرانية أو اليهودية كما سيأتي.

- ثم قال: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِمَخْلُوقِ اللَّهِ﴾: لا أحد يخلق إنسان على الشرك أبداً بل الله ﷻ خلقه على التوحيد، وليس لأحد أن يغير الخلق، بل يغير المخلوق، ولهذا جاء في الحديث: (فأبواه يهودانه، أو ينصرانه.... كما تولد الشاة بهيمة جمعاء، هل تحس فيها من جدعاء؟) أي كالشاة الكاملة التي =

=تولد كاملة الحلقة، ثم أهلها يجدهونها، فيكسرون قرنهما أو يشقون أذنها، فيغيرونها بعد الخلق، فهم يغيرون المخلوق فقط.

- ثم قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقَيْمُ﴾: ذلك الذي أوحاه الله إليك وهو أفراد الله تعالى بالعبادة، وترك عبادة ما سواه، هو الدين القيم المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

- ثم قال: ﴿وَلَيْكِبُ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي أن أكثر الناس يجهلون هذا الدين، ولذلك وقعوا فيما وقعوا فيه من الإخلال بالدين والانحراف عنه وإلا فالدين قيم مستقيم، فإن حصل فيه انحراف فهو من تصرف الناس.

وقوله: ﴿أَكْثَرُ﴾ يدل على أنه لا يحتاج بالكثرة إن كانوا على خطأ، وإنما يحتاج بمن كان على الحق وإن كان واحداً.

وهذا ما ذهب إليه ابن مسعود رضي الله عنه عندما سئل عن الجماعة؟ قال: الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك). اشرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٠٩/١.

وقال الإمام السعدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَعِ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]: (ودلت هذه الآية على أنه لا يستدل على الحق بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور لأن يكون غير حق. بل الواقع بخلاف ذلك؛ فإن أهل الحق هم الأقلون=

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ

لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١) للبقرة: ١٣٢.....

= عددًا، الأعظمون - عند الله - قدرًا وأجرًا. بل الواجب أن يُستدل على

الحق والباطل بالطرق الموصلة إليه) تفسير السعدي: ٤٦٢/٢، ٤٦٣.

(١) وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾: التوصية معناها:

الموصي عند موته يوصي ذريته، أو من حوله بتقوى الله بعد موته.

فالتوصية في الأموال عند الفقهاء: الإذن بالتصرف فيها بعد الموت.

والتوصية في الدين: الحث على التمسك بالدين.

فهنا وصى إبراهيم ﷺ أبو الأنبياء بنيه إسماعيل وإسحاق ﷺ

وكذا يعقوب ﷺ أبو بني إسرائيل وصى ذريته بكلمة التوحيد، وإخلاص

العبادة لله ﷻ، والدين الحق.

وهكذا يجب على الوالد أن يربي أولاده على طاعة الله، وأن يوصيهم

بالثبات على هذا الدين، والبقاء على التوحيد وهذا من حرص الأبوين

الكرمين - إبراهيم ويعقوب ﷺ - على ذريتهما.

- وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ﴾: أي اختار لكم التوحيد، لأنهم

أولاد الأنبياء، فهم أولى بالتمسك بهذا الدين والحذر مما يخالفه من الشرك

والبدع، لأن الإنسان عرضة للانحراف طالما هو على قيد الحياة.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا

كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) للنحل: ١٢٣.....

= - وقوله: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾: نهاهم أن يموتوا على غير الإسلام، بل يموتون وهم مستمسكون، بالدين ومسلمون لله بالتوحيد. وفي هذا دليل على:

(أ) أن الفضل - فضل الإسلام - لا يناله العبد إلا إذا عمل بالإسلام ثم مات عليه، فمن عمل بالإسلام ثم مات على غيره لم ينل فضل الإسلام، وكذا من كان مسلماً خالص الدين لله تعالى، ثم فعل بعد ذلك من القوادح التي تقدر في دين الإسلام ومات عليها، فإنه لا ينال فضل الإسلام كاملاً.

(ب) أن العبرة بالخوانيم، والإنسان بحسب ما يحتكم له من خير أو شر، وقد جاء في الحديث: (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) متفق عليه. اصحيح البخاري: ٣٢٠٨،

صحيح مسلم: ٢٢٦٤٣ فالإنسان يسأل الله تعالى حسن الخاتمة، ويعمل بالأسباب التي تكون سبباً فيها، ويتعد عن الأعمال التي تكون سبباً في سوء الخاتمة.

(١) قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ هذا الأمر =

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (إن لكل نبي ولاية من النبيين ، وأنا وليي منهم أبي إبراهيم ، و خليل ربي) ^(١)

=مرتباً على الآيتين السابقتين ، فالآية الأولى فيها أمر الله جل وعلا بإخلاص الدين لله ﷻ ، والآية الثانية فيها وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام لأبنائهما بتوحيد الله ، والموت عليه .

وهنا في هذه الآية من سورة النحل : أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يكون متبعاً لملة إبراهيم ﷺ . والأمر بالاتباع يقتضي اتباعه عليه الصلاة والسلام لملة إبراهيم ﷺ طيلة حياته حتى يتوفاه الله . وهذا الأمر له ﷺ وأمه تبع له ؛ بأن يستقيموا على هذه الملة الحنيفة ويثبتوا عليها حتى الممات .

(١) هذا الحديث فيه الخبر بأن لكل نبي ولاية: يعني أحياء من النبيين ، فالأنبياء يتولى بعضهم بعضاً بالمحبة والافتداء والاتباع ، فهم سلسلة واحدة من أولهم إلى آخرهم ، يبشر أولهم بآخرهم ، ويقتدي آخرهم بأولهم ويتبع بعضهم بعضاً . وأولى الناس بإبراهيم ﷺ هو نبينا محمد ﷺ ، ولهذا قال : (وأنا وليي منهم أبي إبراهيم و خليل ربي) .

فقوله : (أبي إبراهيم) : لأن إبراهيم ﷺ هو أبو الأنبياء . فجميع الأنبياء الذين جاءوا بعده هم من ذريته ، وإبراهيم هو أبو إسماعيل ﷺ =

ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) لآل عمران: ٦٨. رواه الترمذي (٢)

والذي هو أبو العرب. ولذا أجمع العلماء على أن إبراهيم عليه السلام هو أبو محمد عليه السلام؛ لأن محمداً من ذرية إسماعيل بن إبراهيم على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

وقوله: (خليل ربي): هذا وصف لإبراهيم عليه السلام، والخلة هي خالص المحبة، وهي لم تكن إلا لإبراهيم عليه السلام ومحمد عليه السلام.

(١) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾:

فيه رد على اليهود والنصارى عندما زعموا أنهم على دين إبراهيم عليه السلام فبين الله تعالى في هذه الآية أن أولى الناس بإبراهيم عليه السلام وأقربهم إليه هم الذين اتبعوه من أمته، ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾: أي محمد عليه السلام، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: أي المؤمنون من أمة محمد عليه السلام. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ينصرهم ويؤيدهم ويحبهم ويتولاهم ولأية نصر وتأييد، وحفظ وإعانة فهذه ولاية خاصة للمؤمنين. وهناك ولاية عامة لجميع الخلق بالرزق والملك والتدبير، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢].

(٢) في صحيح سنن الترمذي: ٢٣٩٤، ليس فيه (أبي).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) ^(٢).....

(١) هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: ١٢٥٦٤، بلفظ (صوركم وأموالكم.....).

(٢) في هذا الحديث بيان أن العبرة ليست بالمظاهر، فالله تعالى لا ينظر إلى الأجسام وجمالها، ولا إلى كثرة الأموال والثروات وإنما ينظر إلى شيئين: أ) القلوب.

ب) والأعمال.

- فإذا كانت القلوب مخلصه لله ﷻ.

- والأعمال مستقيمة على شرع الله تعالى.

فهذا الذي ينظر الله تعالى إليه نظر اعتبار وقبول ورحمة

إذا هذا الحديث يدل على أمرين مهمين:

الأول: أن النظر من الله تعالى متعلق بالقلوب ثم الأعمال، لأن الأعمال ثمرة الإيمان الذي هو في القلوب.

الثاني: أن العبد لا ينال فضل الإسلام إلا إذا كان قصده وعمله خالصاً لوجه الله تعالى، وهذا يوافق قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾.

ولهما^(١) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله: (أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إلي رجال من أمتي حتى إذا أهويت لأناولهم احتجبوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)^(٢).....

(١) أي للبخاري في صحيحه: ٦٢٠٥، ومسلم في صحيحه: ٢٢٩٧، بنحوه.
 (٢) قوله رضي الله عنه: (وأنا فرطكم على الحوض): الفَرَطُ هو الذي يسبق إلى الماء ليستقي قومه، فالنبي صلى الله عليه وسلم يتقدم أصحابه ويكون سابقاً لهم على هذا الحوض. والحوض: هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء في وصفه أن عرضه وطوله مسافة شهر، وماءه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وكيزانه كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، ترد أمة محمد صلى الله عليه وسلم عليه وهم عطاش من شدة الحر وطول المقام، فيأتون على الحوض فيسقيهم النبي صلى الله عليه وسلم بيده، إلا من كان قد غير دينه فإنه يُصرف عن الحوض. ثم قال: (وليرفعن إلي رجال من أمتي حتى إذا أهويت لأناولهم احتجبوا دوني.....): أي أن هؤلاء اقتطعوا من دونه، وتزعموا دون أن يصلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك): وهذا فيه دليل على أن من ابتدع في دين الله وغير فإنه لا يرد الحوض على =

=رسوله ﷺ، ولا يردده إلا أهل التوحيد لله، والاتباع للرسول ﷺ. وهذا يتضمن التحذير من البدع والانحراف والتغيير في دين الله ﷻ، كما فيه الحث على التمسك بالدين الصحيح والثبات عليه، والصبر عليه حتى الموت، حتى يرد على النبي ﷺ ويشرب من حوضه.

وقد جاءت الروايات مختلفة في دفاع الرسول ﷺ عن المذاين عن الحوض، ففي هذه الرواية التي هنا قال: (أصحابي)، وفي رواية أخرى في صحيح مسلم / ٢٢٩٤: (أي رب مني ومن أمتي). وقد وجد الرافضة مدخلاً من هذه الأحاديث ليكفروا به جُلّ الصحابة ﷺ، وأنهم قد ارتدوا وكفروا بعد وفاة الرسول ﷺ.

وقد جمع العلماء، ووقفوا بين هذه الأحاديث في بيان من هم المذاين عن الحوض، بعدة أقوال ذكرها الإمام النووي عند شرحه لهذا الحديث، حيث قال:

(هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال:

أحدها: أن المراد به المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل - كما سيأتي في الحديث التالي - فيناديهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء بدلوا بعدك أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

الثاني: أن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده، فيناديهم النبي =

= ﷺ، وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك.

والثالث: أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين يذادون بالنار، بل يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله ﷻ فيدخلهم الجنة بغير عذاب.

ولهذا يقول الحافظ أبو عمرو بن عبد البر: (كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء) قال: (وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، المعلنون بالكبائر). قال: (وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر) اشرح صحيح مسلم للنووي: ١/١٥٣٣.

فائدة:

١ - جاء ذكر الحوض منفرداً في أحاديث عدة، من ذلك قوله ﷺ: (إن حوضي لأبعد من أيلة من عدن، والذي نفسي بيده إنني لأذود عنه الرجال، كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه) قالوا: يا رسول الله وتعرفنا؟ قال: نعم. تردون عليّ غراً محجلين من آثار الوضوء، ليست لأحد غيركم) (صحيح مسلم: ١٢٤٨).

٢ - كما جاء ذكر الكوثر منفرداً في أحاديث أخرى، من ذلك ما رواه أنس =

= عن النبي ﷺ قال: (بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافظه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه، أو طيبه مسك أذفر) (صحيح البخاري: ١٦٢١٠).

٣- وجاء في بعض الأحاديث تفسير الكوثر بالحوض، كما في حديث أنس قال: (بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء، ثم رفع رأسه متبسماً قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليّ أنفاً سورة، قرأ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْزَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ (الكوثر: ١- ٣) ثم قال: أتلدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعديه ربي ﷻ عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أخذت بعدك) (صحيح مسلم: ٤٤٠٠).

وهنا يرد إشكال وهو: هل الحوض هو الكوثر؟

وخاصة أن الحوض يذاد عنه بعض الناس، والكوثر وصف بأنه نهر في الجنة، ووصف أخرى بأنه الحوض، فإذا كان الحوض في الجنة كيف يذاد عنه الناس؟ وقد وفق الحافظ ابن كثير بين هذه الأحاديث، بعد أن أورد بعض الأحاديث في إثبات الكوثر، وأنه نهر في الجنة، قال عن وجه الاتصال بينه وبين الحوض: (ومعنى ذلك أنه يشخب من الكوثر ميزابان=

ولهما^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (وددت
أنا قد رأينا إخواننا^(٢)) قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟.....

= إلى الحوض ، والحوض في العرصات قبل الصراط ؛ لأنه يختلج عنه
ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم ، ومثل هؤلاء لا يجاوزون
الصراط) [النهاية ٢/٣١].

ويشهد لهذا حديث الرسول ﷺ عندما سئل عن شراب الحوض فقال :
(أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل يُعْتَفُ فيه ميزابان يمدانه من الجنة
أحدهما من ذهب ، والآخر من ورق) [صحيح مسلم : ١٢٣٠١].
ويُعْتَفُ فيه ميزابان : يدفقان فيه الماء دفقاً متتابعاً دائماً. لانظر كتاب الغريبين في
القرآن والحديث للهروي ٤/١٣٦٠].

وأما سبب إطلاق الكوثر على الحوض - كما في الحديث الثالث - فقد ذكره
الحافظ ابن حجر فيفتح الباري ١١/٤٦٧، ٤٦٦ فقال : (الكوثر نهر داخل
الجنة ، وماؤه يصب في الحوض ، ويطلق على الحوض الكوثر ، لكونه يُمد
منه).

- (١) أي صحيح البخاري : ولم أقف عليه فيه ، وصحيح مسلم : ٢٤٩ .
(٢) قوله ﷺ : (وددت أنا قد رأينا إخواننا) : قال ذلك النبي ﷺ لما خرج
إلى المقابر ، وقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإننا إن شاء الله بكم =

قال: أنتم أصحابي، وإخواني الذين لم يأتوا بعد^(١).....

=لاحقون، ثم قال: (وددت أنا قد رأينا إخواننا): أي يتمنى النبي ﷺ أنه رأى إخوانه المؤمنين الذين لم يأتوا بعد في الدنيا - كما سيظهر من سياق الحديث -.

(١) فيقول له الصحابة: (أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي وإخواني الذين لم يأتوا بعد): وصف الصحبة خاصٌ بمن صحب النبي ﷺ وآمن به ومات على ذلك، وأما إخوانه: فهم من يأتي في آخر الزمان من أمته ويتبعه، مع ما بينهما من طول الزمان. فالصحابة لهم فضل الصحبة، وهؤلاء لهم فضل التمسك والاتباع، وهم لم يروا النبي ﷺ فكلٌ له فضيلة خاصة به.

قال العلماء: وهذا لا يقتضي تفضيل من يجيء بعد على أصحاب رسول الله؛ لأن هناك وصنفان: وصف الصحبة لأصحابه ﷺ، ووصف الأخوة، وأصحابه متصفون بصفتين:

١ - صفة الأخوة، وهي أخوة الإسلام.

٢ - صفة الصحبة للرسول ﷺ.

ومن جمع بين هاتين الصفتين فهو أعلى وأكمل مرتبة ممن كان له وصفٌ واحدٌ، وهو وصف الأخوة في الإسلام.

فدل ذلك على أن الصحابة ﷺ أفضل ممن جاء بعدهم، ولهذا يُستدل =

قالوا: فكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ قال: رأيتم لو أن رجلاً له خيل غرٌّ محجلة بين ظهرا نبي خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى، قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء^(١)،

= بهذا الحديث على فضل أصحاب النبي ﷺ.

وقد ذكر الله ﷻ هؤلاء الذين لم يأتوا بعد فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

فوصفهم سبحانه بأنهم جاءوا بعد الصحابة ﷺ، ووصفوا الصحابة بأنهم إخوانهم في الدين والملة ويدعون لهم، ويترحمون عليهم ويستغفرون لهم، ويعترفون لهم بالسبق بالإيمان.

يقول الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: (فأين الذين يطعنون في الصحابة ويسبونهم ويلعنونهم، ويزعمون أنهم من المسلمين، أين هم من هذه الآية، ومن هذا الحديث، وأين هم من الإسلام؟ وهم يسبون صحابة رسول الله ﷺ ويلعنونهم ويكفرونهم؟).

(١) قالوا: فكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ قال: رأيتم لو أن رجلاً له خيل غرٌّ محجلة..... من الوضوء) كيف يعرف النبي ﷺ الذين لم يأتوا بعد؟.

وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليزادن رجال يوم القيامة عن حوضي، كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم، فيقال: إنهم بدلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا^(١).....

=يعرفهم بآثار الوضوء، وهذا فيه دليل على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة. وقيل: ليس من خصائص هذه الأمة، ولكن من خصائصها النور والضيء الذي يكون فيهم من آثار الوضوء، وإلا فالوضوء مشروع لجميع المؤمنين، ولكن اختصت هذه الأمة بالآثر الذي يكون على أطرافه.

وقد ضرب لهم الرسول ﷺ مثالا بالخيل الغر المحجلة بين ظهرائي خيل دهم بهم، هل يعرفها صاحبها أم لا.

فالغرة بياض في الوجه، والتحجيل: بياض في الأطراف (الأيدي والأرجل).

والخيل الدهم: جمع أدهم وهو الأسود، والبهم: التي لا يخالطها لون آخر بمعنى أنها سوداء خالصة.

فهذا مثال واضح أراد به النبي ﷺ التمثيل على أنه يعرف أمته يوم القيامة وهو لم يرههم بالنور الذي يظهر في وجوههم وأطرافهم من آثار الوضوء.

(١) قوله ﷺ: (ألا ليزادن رجال يوم القيامة عن حوضي كما يُذاد البعير الضال): أي أن البعير الضال إذا فر من صاحبه، ثم أتى إلى مرعى رجل =

وللبخاري^(١): (بينما أنا قائم إذا زمرة^(٢))،

=آخر له إبل فإنه يذود هذا البعير ويطرده، فكذلك هؤلاء يطردون عن حوض النبي ﷺ، فيقول النبي ﷺ: (أناديهم ألا هلم): يعني أنه ينادي هؤلاء المطرودين أن أقبلوا.

فيقال: (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك): يعني أنهم غيروا وبدلوا ما كانوا عليه من الاستقامة على الدين ونبذ البدع والمحدثات.

فأقول: (سحقاً سحقاً): بعداً بعداً. أي يتبرأ منهم الرسول ﷺ يوم القيامة في موقف هم أحوج ما يكونوا إليه، لما أنهم عصوه في الدنيا أبعدهم الله عنه يوم القيامة، وحرّمهم وفضحهم أمام الخلائق، فيالها من موعظة ما أبلغها وما أجزها، ويا له من حث على اتباع الرسول ﷺ والتمسك بالسنة والصبر عليها، والثبات عليها، وإن عيروك وتنقصوك وسبوك فلا تلتفت إلى الخلق، ولكن التفت إلى الخالق ﷻ، فاصبر واثبت ما دمت على الحق.

والشاهد من هذا الحديث هو آخره، حيث دل على أن فضل الإسلام لا يناله إلا من استقام على الدين حتى توفاه الله ﷻ وهو كذلك غير مبدل، فمن بدّل وأحدث في الدين فلا يناله فضل الإسلام.

(١) صحيح البخاري: ٦٢١٥ ولكن في أوله: (بينما أنا قائم).

(٢) قوله ﷺ: (بينما أنا قائم إذا زمرة): أي بينما الرسول ﷺ قائم على =

حتى إذا عرفتهم وعرفوني خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم
فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم
ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري^(١)، ثم إذا زمرة - فذكر مثله -
قال: فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همَلِ النعم^(٢).....

=حوضه في عرصات القيامة. (إذا زمرة) أي طائفة.

(١) قوله: (حتى إذا عرفتهم وعرفوني): يعني أن النبي ﷺ يعرف هذه
الزمرة والطائفة التي رءاها.

- (خرج رجل من بيني وبينهم): قال العلماء: الذي يخرج من بين النبي
ﷺ وبينهم ملك من الملائكة في صورة رجل (فقال: هلم) يعني أن الملك
يناديهم بقوله: هلم. فيقول النبي ﷺ: (أين؟): أي أين تذهب بهم؟
فيقول الملك: (إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال إنهم ارتدوا بعدك
على أدبارهم القهقري): يعني أنهم رجعوا إلى الخلف بعد وفاة النبي
ﷺ. وقد استدل بعض أهل العلم بقوله: (إنهم ارتدوا بعدك على
أدبارهم القهقري): على أن هذا في أصحاب الردة الذين ارتدوا بعد وفاة
النبي ﷺ ممن كان يعرفهم النبي ﷺ.

(٢) قوله: (ثم إذا زمرة - فذكر مثله -): يعني زمرة كسابقتها عرفهم الرسول
ﷺ وعرفوه فيخرج رجل: أي من الملائكة في صورة رجل.... الخ =

= - كما تقدم..

- ثم قال: (فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم): همل النعم هي الإبل التي لا يكون لها راع، بل هي إبل مهملة، والمعنى: فلا أظن أن يرد على الحوض إلا مثل همل النعم من هذه الزمرة، يعني أنهم عدد قليل؛ لأن الإبل المهملة بالنسبة إلى المرعية قليلة جداً، فكذلك الذين يردون على الحوض، ويخلصون من النار من هذه الزمرة إنما هم عدد قليل كهمل النعم. فهذا الحديث يدل على أن من ارتد أو أحدث أو بدل بعد ما كان مستقيماً فإنه لا يناله فضل الإسلام؛ لأنه حينئذ يكون من أهل النار، والعياذ بالله. والله ﷻ وعد أهل الإسلام بفضل عظيم.

يقول الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - في تعليقه على هذا الحديث محذراً: (وهذا فيه أنه من ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام أنه سيلقى هذا المصير، إلا إذا تاب إلى الله قبل الموت، وهذا يؤكد على الإنسان أن يعرف نواقض الإسلام ويتجنبها، لئلا يكون مع هؤلاء يوم القيامة. قد يعيش الإنسان مرتداً وهو يزعم أنه مسلم، لماذا؟.

لأنه يعيش على ناقض من نواقض الإسلام، ونواقض الإسلام، وأسباب الردة كثيرة يجب العناية بها ومعرفتها وسؤال الله الثبات على الدين، فلا يكفي مجرد الانتساب، أو يكون الإنسان إمعة مع الناس، أساءوا أو أحسنوا، بل لا بد أن يعرف الحق ليعمل به، ويسأل الله الثبات. =


ولهما^(١) في حديث ابن عباس رضي الله عنهما : (فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ وَكُنْتُ عَلَيَّمْ شَرِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيَّمْ وَأَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَرِيدٌ ﴾^(٢) [المائدة: ١١٧].....







=فهذا فيه أن من ارتد عن دين الإسلام فهو من أهل النار، ولو كان في أول أمره من هذه الأمة. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٢١٧].

فيجب علينا معرفة أنواع الردة، ونواقض الإسلام حتى نتجنبها، أكثر الناس همّل لا يدرون ما هي النواقض ويقعون فيها وهم لا يعلمون بسبب الجهل الذي لا يعذرون به؛ لأنه لا يعذر بالجهل من كان يعيش بين العلماء، وفي بلاد الإسلام، لأنه بإمكانه أن يسأل ويتعلم، فالحرص يتعلم، وأما الذي لا يبالي فإنه لا يهتم بالعلم ولا بالتعلم ويكتفي بمسمى الإسلام فقط ويجاري الناس على ما هم عليه، ثم يوم القيامة يصبح مع الخاسرين). اهـ.


(١) أي البخاري في صحيحه: ٤٦٢٥، ومسلم في صحيحه: ٢٨٦٠.

(٢) قوله: (فأقول كما قال العبد الصالح...): أي أن الرسول ﷺ عند رؤيته هذا المشهد الهائل، حينما يساقون إلى النار من عنده، يقول كما قال العبد=

ولهما^(١) مرفوعاً: (ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها) ثم قرأ أبو هريرة : ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٢) الروم: ٢٣٠، متفق عليه.....

=الصالح، وهو عيسى ابن مريم : ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ط فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وهذا استسلام لحكم الله ؛ لأن النبي  كان يعلمهم مؤمنين مستقيمين، لكن بعد وفاته لا يشهد لهم بشيء، وإنما شهد لهم بما علم من أمرهم في أثناء حياته فلما توفي  كان الله تعالى هو الرقيب عليهم وحده لا شريك له، فلهذا استسلم النبي  لحكم الله، كما استسلم قبله نبي الله عيسى .

(١) أي البخاري في صحيحه: ١٢٩٣، ومسلم في صحيحه: ٢٦٥٨.

(٢) قوله : (ما من مولود يولد إلا على الفطرة...) : هذا الحديث يفسر الآية التي في أول الباب، وهي قوله تعالى: ﴿فَأَقْرَهُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، فالناس فطروا على الإسلام والتوحيد فلو أنهم سلموا من دعاة الضلال لبقيت فطرتهم قابلة للحق، ولا تبعوا الرسل. ففطرتهم صالحة مثل التربة الطيبة الصالحة للنبات، ولكن إذا=

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وأنا أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ^(١).....

=غيرت بالسبخ والماء فسدت، وصارت لا تثبت، وكذلك الإنسان إذا غيرت فطرته لا تقبل الخير لأنها غيرت وانحرفت؛ لهذا قال: (فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه): يعني أبواه يصرفانه إلى اليهودية أو النصرانية أو المجوسية، ولم يقل: (أو يسلمانه) لأن الفطرة هي الإسلام، وهو مولود على فطرة الإسلام. ففي هذا الحديث إشارة إلى السبب الذي يغير الفطرة والذي يكون في العادة الأبوين أو أحدهما. ثم ضرب مثلاً بالشاة التي جدعت قرنها أو أذنها فقال: (كما تتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها): يعني أن البهيمة تلد بهيمة (جمعاء) أي كاملة الخلق، سوية ليس فيها جدع، وهو قطع الأذن أو القرن، حتى يكون أهلها هم الذين يجدعونها، كذلك المولود يولد على الفطرة كاملاً، فإن غيرت الفطرة فهذا من تصرف المربين الذين يحرفون الفطرة ويغيرونها.

ثم قرأ أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ وهذا دليل على أن الفطرة هي الإسلام.

(١) قول حذيفة رضي الله عنه: (كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وأنا=

=أسأله عن الشر مخافة أن يدركني): يرشدنا حذيفة رضي الله عنه إلى ضرورة معرفة الشر، وعدم الاقتصار على تعلم الخير والصلاح فقط، وذلك لأن الاقتصار على تعلم الخير وعدم معرفة ما يضاده من الشر يعرض الإنسان للوقوع فيه، وقد قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ❖ ومن لا يعرف الخير من الشريقع فيه وهذا بخلاف ما ينادي به اليوم كثير من الجهال أو المضللين الذين يقولون: علّموا الناس التوحيد والصلاة وأعمال الخير، ولكن لماذا تعلموهم نواقض الإسلام والشرك وعقائد الجهمية والمعتزلة، ومن نخا نحوهم؟ لماذا لا تقتصرون على العقائد الصحيحة وتركون العقائد الفاسدة؟

وهذا جهلٌ وتضليلٌ؛ لأنه لا يكفي تعلم العقائد الصحيحة، بل لا بد أن نعرف أيضاً العقائد الفاسدة والباطلة من أجل أن نتجنبها، ونجنبها أولادنا وإخواننا، ولهذا نجد العلماء ردوا على الجهمية والمعتزلة والمخالفين، ولو أنهم سكتوا عن أهل الضلال ولم يردوا عليهم لراجت أفكارهم وشبهاتهم.

وهذا حذيفة رضي الله عنه كان يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشر، ولم ينهه عن ذلك، بل أقره ويّين له. فلا بد للمسلمين أن يكونوا على استعداد لمقاومة الشر لئلا يروج، لأن له دعاة حريصين على رواجه، ويزينونه بزخرف=

فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. فقلت: وهل بعد هذا الشر من خير قال: نعم، وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، فتنة عمياء، ودعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها) قلت: يا رسول الله، صفهم لنا... قال: قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: يا رسول الله ما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم... قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يأتبك الموت وأنت على ذلك^(١) أخرجاه^(٢).....

=القول ويسمونه بأسماء مغرية، فلو لم تُعرف هذه الشبهات والدعوات الضالة، لأوشك أن يروج هذا على الناس، ولذهبت السنة، وراجت البدعة، وهذا هو الحكمة من تعلم الخير وما يضاده من الشر حتى تسلم منه، وهذا هو سبب سؤال حذيفة رضي الله عنه عن الشر.

(١) قوله: (إنا كنا في جاهلية وشر): يعني قبل الإسلام، من الكفر بالله=

=والقتل والنهب وإتيان الفواحش.

- (فجاءنا الله بهذا الخير): يعني بالإسلام لما فيه من الأمن والإيمان والطمأنينة وكل خير.

- (قال: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال نعم): يعني أن بعد الخير الذي جاء وهو الإسلام سوف يعقبه شر.

- (قللت: فهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دَخْن): وذلك أن الشر إذا حدث، فإن له أثراً في تغيير أخلاق الناس، وسلوكهم وعقائدهم.

وقوله: (فيه دَخْن): كناية عن عدم حصول الشيء على صوابه وما يُرجى، كما يرى الرائي من الصورة إذا حال الدخان بينه وبينها. للذليل على النهاية في غريب الحديث والأثر. لعبد السلام بن علوش، ص ١٦٤.

- (قللت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر): يعني أنه يعقب ذلك الشر خير، ولكن هذا الخير ليس خيراً صافياً، لأن القلوب حصل لها فساد بسبب الشر الذي أعقب الخير الأول. ثم بين النبي ﷺ دخنه بأنه: (قوم يستنون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر): أي تعرف بعض قولهم وفعلهم وأنه موافق للإسلام والسنة، وتنكر بعض ذلك لأنه مخالف للكتاب والسنة؛ لأن هذا الخير ليس صافياً كما هو الخير الأول، إذ هو =

=خير فيه دخن.

- (قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، فتنة عمياء، ودعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها): قوله (فتنة عمياء) هذه في رواية أبي داود في سننه: ٤٢٤٦ وليست في الصحيحين.

قال العلماء: سماها فتنة عمياء، إمّا لأن الناس يدخلون في هذه الفتنة على غير بصيرة، وإمّا لأن هذه الفتن إذا وقعت وأراد الناس النجاة منها فإنهم لا يجدون منها مخرجاً، كما أن الأعمى يتغلق عليه الخروج من بعض الأمكنة. فهؤلاء إذا وقعت هذه الفتنة فإنها تكون فتنة يصعب الخروج منها.

(ودعاة على أبواب جهنم): هذا باعتبار المآل؛ لأن هؤلاء الذين يدعون ليسوا واقفين الآن على أبواب جهنم ولكنهم يدعون، ومآل من أطاعهم أن يدخل النار (من أجابهم إليها قذفوه فيها): أي قذفوه في النار لأنهم بلغوه إياها - النار - بدعوتهم له، وهم لا يقولون له: تعال إلى جهنم، ولكن تعال إلى الجنة والخير، وإلى الجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله، ونحو ذلك، وهم في الواقع دعاة إلى جهنم من أجابهم قذفوه فيها.

- (قلت: يارسول الله، صفهم لنا، قال قوم من جلدتنا ويتكلمون
=

بألسنتنا).

=قال العلماء - رحمهم الله - : يعني أنهم من هذه الأمة سواء كانوا مسلمين ثم كفروا، أو أنهم على الإسلام، ولكن عندهم تبديل وتغيير وظاهر حالهم أنهم مثلنا، ولهذا قال: (قوم من جلدتنا ويتكلمون بالستتنا) والذي يظهر من الإنسان هو جلده، فظاهرهم أنهم منا ويتكلمون بالستتنا، أي باللغة العربية وهنا تعظم المصيبة، عندما يأتي الشر من أبناء المسلمين.

(قلت: يا رسول الله، ما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال عليه الصلاة والسلام: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم): هذا سؤال عن سبيل النجاة، فأجابه النبي ﷺ: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم): وجماعة المسلمين هم الذين اجتمعوا على الإمام فيلزمهم ويلزم إمام المسلمين وإن كان جائراً ظالماً فاسقاً، ولا يلتفت إلى هذه الفتن ودعاتها، فإن كان هناك جماعات متعددة وهنا جماعة على الحق فكن مع الجماعة التي على الحق ولهذا قال ﷺ: (وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي) اصحيح سنن الترمذي: ١٢٦٤١.

فهذه هي الفرقة الناجية، وهي التي على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه. فلا يغتر أحد بيقية الفرق.

= (قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك =

=الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك): أي فإن كانوا متفرقين، ولم يجتمعوا، وليس لهم إمام قد بايعوه فماذا يفعل؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها....): أي يعتزل هذه الجماعات التي ليس لها إمام، لأنه إذا وجدت جماعات بلا إمام فإنه غالباً يؤول الأمر بينهم إلى الشجار، وتقع بينهم حينئذ فتنة عمياء، ويقاثل الناس فيها تحت راية عمية، يعني يدخل في هذا القتال وهو لم يتبين له الحق مع أي الطائفتين، أو مع أي الجماعات.

- (قال: فاعتزل تلك الفرق كلها): يعني لا تنضم إلى واحدة منها؛ لأنهم ليس لهم إمام.

- (قال: ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك): أي تعتزل هذه الفتن، وتصبر على الاعتزال، حتى ولو آل الاعتزال لأن تعض على أصل شجرة، لأنه لا يجد شيئاً من شدة الفتن.

وقال بعض العلماء: عض الشجرة كناية عن الاستمسك بالعزلة، وترك هذه الفرق كلها؛ لأنهم ليسوا مجتمعين على إمام.

(١) أي البخاري في صحيحه: ٧٠٨٤، ومسلم في صحيحه: ٤٧٦٢.

وزاد مسلم^(١): (ثم ماذا؟ قال: ثم يخرج الدجال معه نهر ونار، فمن وقع في ناره وجب أجره، وحُطَّ وزره، ومن وقع في نهره، وجب وزره وحُطَّ أجره. قلت: ثم ماذا؟ قال: هي قيام الساعة)^(٢).....

(١) هذه الزيادة ليست في اصحيح مسلم وإنما في اسنن أبي داود: ٤٢٤٤، وإسناده حسن.

(٢) قوله: (ثم ماذا؟ قال: ثم يخرج الدجال معه نهر ونار...): من الفتن الشديدة التي تحصل في آخر الزمان وهي من علامات الساعة الكبرى خروج الدجال. وسمي الدجال من الدجل والكذب لكثرة كذبه، وهذا الرجل يظهر في اليهود، وهو الذي ينتظره اليهود ليخرج فيهم. معه فتنة عظيمة وهي صورة جنة، وصورة نار، فالنار التي معه هي الجنة، والجنة التي معه هي النار. وهذا دليل على أن الإنسان لا يغتر بالزخرف، وفيه تحذير من الدعايات المضللة، وأن الإنسان لا يزهدي في الحق، ولو أن الحق لبس عليه، ووصف بالتأخر والرجعية والجمود فالحق هو الحق، والباطل هو الباطل، ولو وُصف بالتقدم والحضارة والرقى فهو باطل.

ولعظم فتنة الدجال كان الأنبياء كلهم يحذرون منه، وأشدهم تحذيراً نبينا محمد ﷺ، ولذلك أمرنا أن نستعيد بالله من أربع في كل صلاة في التشهد الأخير، منها: (ومن فتنة المسيح الدجال)، كما رغبتنا في حفظ عشر =

وقال أبو العالية^(١): (تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه ، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام،

=آيات من سورة الكهف فقال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف - وفي رواية من آخر سورة الكهف - عُصِمَ من الدجال) اصحيح مسلم: ١٨٨٠، ١٨٨١ ويحصل للمسلمين فتنة عظيمة عند خروج الدجال فيهم في آخر الزمان حتى ينزل عيسى عليه السلام، فيقتله ويريح المسلمين منه ومن شره.

وقد أورد الإمام محمد بن عبد الوهاب هذا الحديث هنا - حديث حذيفة رضي الله عنه - ليبين أن فضل الإسلام لا يناله إلا أهله المستمسكين به حقاً، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستمساك به، كما حذر من الدعاة الذين يقفون على أبواب جهنم يدعون إليها، فمن استجاب لهم لم يكن من المقيمين وجوههم للدين سواء التابع أو المتبوع، كما بين فيه النبي صلى الله عليه وسلم طريق النجاة من الفتن وهو لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، وذلك حتى يدرك فضل الإسلام، كما بين أيضاً ما يحتاجون إليه إلى قيام الساعة.

(١) كلام أبي العالية ذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/٦٢٢ وفيه: (ولا تحرفوا الإسلام يمينا ولا شمالاً. وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه..).

ولا تتحرفوا عن الصراط يميناً ولا شمالاً وعليكم بسنة نبيكم،
ولياكم وهذه الأهواء^(١). انتهى.....

(١) هنا يوصي أبو العالية - وهو من أئمة التابعين - بأربع وصايا عظيمة:

الوصية الأولى: الأمر بتعلم الإسلام حيث قال: (تعلموا الإسلام): أي اعرفوه، فلا يكفي أن تقول أنا مسلم حتى تعرف الإسلام ومعناه وأركانه ونواقضه، حتى تكون على بصيرة من دينك. وفي هذا الحث على تعلم العلم النافع، لأنه هو الحياة والنجاة بإذن الله.

الوصية الثانية: الثبات عليه، وعدم الرغبة عنه، حيث قال: (فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه) يعني إذا تعلمتم الإسلام، وعرفتموه فعليكم بالتمسك به، فلا يكفي أن يكون الإنسان عالماً، يجب عليه أن يكون عاملاً بعلمه وإلا كان العلم وبالاً عليه، فاليهود كانوا علماء أخبار ولكن ضلوا وكفروا، فما يكفي مجرد العلم، بل لابد من التمسك بالحق والثبات عليه مع العلم، أي علم وعمل.

الوصية الثالثة: معرفة الصراط المستقيم، حيث قال: (وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تتحرفوا عن الصراط يميناً ولا شمالاً): والصراط المستقيم هو الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا =

=فَاتَّبِعُوهُ ﴿ الأنعام: ١٥٣.﴾

فالصراط: هو الطريق. والمستقيم: هو المعتدل الذي ليس فيه انحراف أو ميل. فالله تعالى أمرنا أن نتبع هذا الصراط المستقيم، وأمرنا أن نسأله أن يهدينا إلى هذا الصراط، وأن يعرفنا به، ويثبتنا عليه.

ما هو الصراط؟ الصراط هو الإسلام الذي جاء به الرسول ﷺ، ويراد بالصراط: القرآن، ويراد به: الرسول ﷺ، وكله صحيح.

فالواجب على المسلم إذا عرف الصراط أن يسير عليه، ويتمسك به، ولا يظن أنه سوف يسلم من الفتن والابتلاءات، فعليه بالصبر والثبات على الصراط، لأن هناك دعاة ضلالة يريدون أن يحرفوه عن الصراط المستقيم كما أخبر الله تعالى عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ ﴿ الأنعام: ١٥٣.﴾

الوصية الرابعة: التحذير من الأهواء، حيث قال: (وعليكم بسنة نبيكم وإياكم وهذه الأهواء) وفي هذا الأمر بلزوم السنة وهي طريقة الرسول ﷺ، وما سار عليه هو وأصحابه في العقيدة والعمل، والحذر من مخالفته إلى ما أحدثه أهل الأهواء والبدع فإن كل بدعة ضلالة، وقد حذر الله ﷻ من مخالفته بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿النور: ١٦٣.﴾

كما فيه التحذير من موافقة هوى النفس المخالف للحق، وقد حذر الله ﷻ =

تأمل كلام أبي العالية هذا ما أجله ، واعرف زمانه الذي يحذر فيه من الأهواء التي من اتبعها فقد رغب عن الإسلام^(١) ،

=من ذلك بقوله: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَأَعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾ [القصص: ١٥٠].

فعلى المسلم أن يتبع الحق سواء وافق هواه أو خالفه؟ لأن العاقبة الحميدة في اتباع الحق.

وهذا كلام عظيم من أبي العالية ؛ لأنه مستمد من الكتاب والسنة.

(١) يقول الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله تعليقا على كلام التابعي الجليل: (تأمل كلام أبي العالية هذا ما أجله ، واعرف زمانه الذي يحذر فيه من الأهواء التي من اتبعها فقد رغب عن الإسلام): يعني اعرف الزمان الذي حذر فيه أبو العالية من الأهواء ، وهو كان في زمن التابعين من خير القرون ، الذين قال فيهم ﷺ: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) [صحيح البخاري: ٢٦٥٢ ، وصحيح مسلم: ١٦٤١٩ ، فكيف بالقرون التي جاءت بعد ذلك فإن البدع والأهواء والشبهات أكثر ، والفتن فيها أعظم ، مما يدل على أن الأزمنة التي جاءت بعد زمن التابعين أحق بالتحذير من الأهواء فيها ، لأنها أشد وأعظم.

- وكذلك إذا كان أبو العالية يحذر من الأهواء في ذلك الزمان مع قوة إيمان=

وتفسير الإسلام بالسنة^(١)، وخوفه على أعلام التابعين وعلماهم من الخروج عن السنة والكتاب، يتبين لك معنى قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ ﴾ [البقرة: ١٣١]، وقوله: ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنِهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنْ أَلَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾^(٢) [البقرة: ١٣٠]،

=أهله وصلابتهم في الحق، فأهل الأزمنة الذين جاءوا من بعدهم أحق بأن يحذروا من اتباع أهل الأهواء، وأن يخاف عليهم من عواقبها.

(١) وقوله: (وتفسير الإسلام بالسنة): يعني واعرف تفسير الإسلام بالسنة فمن أسلم وجهه لله، ولكن لم ينقد للنبي ﷺ فهو ليس بمسلم، وقد فهم أبو العالية رضي الله عنه هذا المعنى، فكان يقول: (ما أدري أيّ النعمتين عليّ أعظم إذ أخرجني الله من الشرك إلى الإسلام، أو عصمني في الإسلام أن يكون لي فيه هوى) لشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١٤٧.

(٢) ثم قال: (وخوفه على أعلام التابعين وعلماهم من الخروج عن السنة والكتاب): يعني واعرف خوف أبي العالية على أعلام التابعين وعلماهم من الخروج على السنة والكتاب، إذا عرفت هذه الأشياء - عرفت الزمن =

وأشباه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول والناس عنها في
غفلة^(١)،

=وعرفت تفسير الإسلام بالسنة، وعرفت خوف أبي العالية على أعلام
التابعين، وتاملت كلام أبي العالية هذا - تبين لك معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ
قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّى
بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَنبِيُّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾، وتبين لك أن كلام أبي العالية رحمته الله جمع بين الدعوة إلى
الإسلام، والتحذير من مخالفته كما هو الأمر في هاتين الآيتين اللتين أوردهما
الإمام.

وكذا يتبين معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ
نَفْسَهُ﴾ من خلال كلام أبي العالية عندما قال: (فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا
عنه) فإن قوله هذا يوافق هذه الآية في التحذير من الرغبة عن ملة الإسلام.

(١) ثم قوله، (وأشباه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول والناس
عنها في غفلة): أي وأشباه هذه الأصول الكبار التي بينها هذه الآيات،
وجاءت في سياق أبي العالية رحمته الله والناس أكثرهم في غفلة، لا يقرأونها
ولا يتعلمونها وإذا تعلموها قليل من يعمل بها، وإذا عملوا بها قليل من
يثبت عليها، فالأمر يحتاج إلى استعانة بالله عز وجل، وإلى اهتمام بالأمر، فلا =

وبمعرفة يتبين معنى الأحاديث في هذا الباب وأمثالها. وأما الإنسان الذي يقرأها وأشباهاها وهو آمن مطمئن أنها لا تناله، ويظنها في قوم كانوا فبادوا: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^(١) [الأعراف: ١٩٩].

= يثق الإنسان من نفسه، أو يأمن من الفتنة، بل يخاف الفتنة ويتجنبها، ولا يكون إمعة مع الناس، بل يكون مع الحق دائماً وأبداً، فإذا بلغه شيء فإنه يعرضه على الحق، فإن وافقه فالحمد لله، وإن خالفه تركه.

(١) ثم قال: (وبمعرفة يتبين معنى الأحاديث في هذا الباب وأمثالها. وأما الإنسان الذي يقرأها وأشباهاها وهو آمن مطمئن أنها لا تناله، ويظنها في قوم كانوا فبادوا. ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾): يعني بمعرفة كلام أبي العالية تتبين معاني هذه الأحاديث التي في هذا الباب، فمن يقرأ هذه النصوص وأمثالها ويتفقه فيها، ويعمل بها فهو على طريق نجاة وسلامة.

وأما الذي يطلع على هذه النصوص التي تأمر بالاستمسك بالإسلام والسنة، وتحذر من البدع فلم يلتفت إليها، بل كان غافلاً عنها، يظن أن المخاطبين بها قوم آخرون كانوا فهلكوا وتوفاهم الله، ولا يظن أن نفسه =

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال: (هذا سبيل الله - ثم خط خطوطاً عن يمينه، وعن شماله ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه^(١))،

=مخاطبة بها فإن هذا نوع من أنواع المكر من الله تعالى بهم، ويكون حينئذ مستدرجاً إلى البدع والضلالات من حيث لا يشعر. ومكر الله حق وعدل ولا يمكر إلا بمن يستحق.

(١) هذا الحديث يفسر قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا

تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾: فسر هذه الآية بمثال محسوس، حيث خط خطأ مستقيماً، ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله. فقال للمستقيم: هذا صراط الله، وقال للخطوط الأخرى: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو الناس إليها، ليخرج الناس من الصراط المستقيم إلى هذه السبل، هؤلاء هم دعاة الضلال، هم الذين من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، وهم الدعاة الذين على أبواب جهنم؛ لأن هذه السبل تؤدي إلى جهنم، فهذا الحديث فيه تحذير من دعاة الضلال.

وقد نص العلماء على أن هذا الحديث يتضمن أصليين:

أحدهما: تحقيق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم تحقيقاً كاملاً.

ثانيهما: ترك معارضة ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم بالشبهات، إما برأيه =

=أوبرواية ؛ لأن الرواية أحياناً يُشَبَّه بها على النصوص المحكّمة ، وذلك بأن الرواية إذا أردنا أن نستدل بها فلا بد أن نعرف ثبوتها ، وأن نعرف وجه دلالتها .

أ) فمن عارض الثابت عن النبي ﷺ بالأحاديث الضعاف والواهية فقد عارض هدي النبي ﷺ ، ولم يحقق : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ لأن الصراط المستقيم الذي يتبع هو الثابت عن النبي ﷺ .

ب) ومن عارضها بحديث صحيح أوّله على غير التأويل الذي يوافق النصوص ، أو أوّل نصاً من كتاب وسنة يخالف المعروف عن سلف هذه الأمة ، وما تجتمع به النصوص فإنه يكون مشبهاً ، ومن هنا قال العلماء - رحمهم الله - : أما النصوص المشتبهة فإنها ترد إلى النصوص المحكّمة فإذا اشتبهت علينا نصوص وكانت دلالتها غير ظاهرة وجب علينا أن نردها إلى المحكّمة ؛ لأن المحكم هو الذي يجب العمل به ، وأما المتشابه فيرد إلى المحكم مع الإيمان بالله ﷻ ورسوله ﷺ ، وأن الله ورسوله لا يقولان إلا حقاً وصدقاً .

فهذا الحديث أورده المؤلف في كتاب (فضل الإسلام) ليبين أن فضل الإسلام إنما يتحقق للمتبعين لما جاء به النبي ﷺ ، الذي سلم اتباعه من أن يكونوا متلبسين بالشبهات والبدع ، فإذا حققوا ذلك دخلوا في قوله تعالى : ﴿ فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ وكانوا من المقيمين وجوههم للدّين حنيفاً .

وقرأ: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام: ١٥٣). رواه أحمد والنسائي^ط (١).

(١) رواه الإمام أحمد في المسند: ٤١٤٢، بإسناد حسن، ولم أجده في النسائي، ولكن أخرجه الدارمي في سننه في المقدمة: ٢٠٨، بإسناد حسن.

* * *

باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء^(١)

وقول الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَتَلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةِ

يَهْتُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ ﴾^(٢) لهود: ١١٦....

(١) تقدم في أول الكتاب أن فضل الإسلام يكون أحياناً باعتبار زمانه، وأحياناً باعتبار مكانه، وأحياناً باعتبار حاله. وقد عقد الإمام رحمته الله هذا الباب لبيان فضل الإسلام في زمان معين، أو مكان معين، أو حالة معينة؛ لأن فضل الإسلام يتفاوت بحسب الزمان والمكان والحال.

وغربة الإسلام نوعان:

(أ) غربة مطلقة: وهذه تكون في آخر الزمان بعد خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وقتله الدجال، فيرسل الله بعد ذلك رجلاً يقبض روح كل مؤمن ومؤمنة، فلا يبقى على ظهر الأرض من يقول الله الله، فعندئذ يكون الإسلام غريباً.

(ب) غربة مقيدة: بزمان أو مكان أو شريعة من شرائع الإسلام، كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله لأنه لا غربة مطلقة إلا في آخر الزمان لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) صحيح مسلم: ١١٩٢٠.

(٢) وقول الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَتَلِكُمْ ۗ ﴾ أي فهلا كان من

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء) ^(١) رواه مسلم ^(٢)

=القرون من قبلكم من الأمم الخالية ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ عَقْلِ وَيُبْهَتُونَ بِغَمِّ الْآرْضِ﴾: يراد به النفي أي ما كان من القرون من قبلكم من ينهي عن الفساد.

﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾: ينهون الناس عن الفساد في الأرض ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ثم استثنى الله ﷻ قلة منهم فقال: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: هؤلاء القليل الذين ينهون نجاهم الله ﷻ وإذا كانوا قلة قليلة في فساد، فإنهم يكونون غرباء، وهذا وجه سياق المصنف لهذه الآية في باب غربة الإسلام.

وفي هذه الآية دليل أيضاً على أن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ينجو من عذاب الله، وأما الذي لا يأمر ولا ينهى فإنه يهلك ولو كان من الصالحين، ثم يبعثه الله على نيته، كما جاء في الحديث - يعني حديث أم سلمة مرفوعاً: (يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا بيضاء من الأرض، حُسف بهم. قلت: يا رسول الله فكيف بمن كان كارهاً؟ قال: يحسف به معهم، ولكنه يُبعث يوم القيامة على نيته) (صحيح مسلم: ٢٨٨٢).

(١) قوله رضي الله عنه: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ): يعني بدأ=

=الإسلام غريباً لما بعث الله تعالى نبينا محمد ﷺ، وأمر بالندارة فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ ﴿١﴾ فَمَرَّ فَأَنْذِرَ ﴿٢﴾﴾ [المثدر: ١ - ٢]، قام وحده ﷺ ثم انضم إليه أبو بكر ﷺ، وبلال ﷺ ولهذا لما سئل ﷺ: (من معك على هذا الأمر؟ قال: حر وعبد) ثم تتابع المسلمون واحداً واحداً، وهم على خوف وابتلاء، إلى أن أذن الله تعالى لهم بالهجرة إلى المدينة، فبدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً في آخر الزمان، ويكون المتمسكون به غرباء مثل ما كانوا في مكة أول البعثة. وهذا الحديث خبر من الرسول ﷺ معناه التحذير مما يحصل في آخر الزمان، وفيه الحث على التمسك بالإسلام، ولو كان أهله قليلين مستضعفين.

يقول الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: (والآن الإسلام عاد غريباً، ولو كان الذين يدعون الإسلام يبلغون المليار، أو أكثر، لكن الإسلام الصحيح غريب بين الذين يدعون الإسلام، فكيف الكفار.

فالمسلم الصحيح غريب بين الذين يدعون الإسلام، فليست العبرة بالكثرة، ولكن العبرة بالحقيقة، فالمسلمون الذين على مثل ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه قليلون غرباء، حتى بين المسلمين). اهـ.

وهذا مصداق لقول أبي بكر بن عياش - أحد أئمة السلف - إذ كان يقول: (السنة في الإسلام أعز من الإسلام في سائر الأديان) لشرح أصول اعتماد أهل السنة والجماعة للالكافي ١/٢٦٦، أي أن المتمسكين بالسنة غرباء بين المسلمين =

= غير المتمسكين بها من سائر الطوائف والفرق وأهل الأهواء، وذلك لقلتهم، حتى إن الإمام سفيان الثوري كان يقول: (إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة وآخر بالمغرب فابعث إليهما بالسلام وادع لهما، ما أقل أهل السنة والجماعة) لشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/ ١٦٤. وكان يقول - أي سفيان الثوري رضي الله عنه - : (استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء) لشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/ ١٦٤ فهذا في زمانهم، فما نقول نحن في زماننا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم رغب النبي ﷺ المسلم في أن يكون مع الغرباء في آخر الزمان، حيث قال: (فطوبى للغرباء)، وطوبى: قيل هي شجرة في الجنة، يُعبر عن دخول الجنة بها، وقيل: هي اسم من أسماء الجنة، وقيل: هي الكلمة الطيبة.

وفي قوله ﷺ: (فطوبى للغرباء): دليل على فضل الغرباء، وأن إسلامهم أكمل من إسلام غيرهم.

وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح هذا الحديث تنبيهات مهمة منها:
١ - لا يقتضي أن تكون الغربية شراً للمسلم، بل هو خير، لأن الله تعالى وعد أهلها بالأجر، ووعد أهلها بالسعادة.

٢ - أن غربة الإسلام لا تُجوز للعبد أن يترك تمسكه بالدين.

(٢) في إصحاحه: ٣٧٠.

ورواه أحمد^(١) من حديث ابن مسعود وفيه: (ومن الغرباء؟ قال:
 (النزاع من القبائل)^(٢). وفي رواية: (الغرباء الذين يصلحون إذا فسد
 الناس)^(٣).....

(١) في المسند: ٣٧٨٤، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) قوله ﷺ: (النزاع من القبائل): والنزاع: جمع نازع، وهو الذي ينتقل
 من أهله وعشيرته، ويلده إلى بلد آخر، فهو غريب عنهم.
 قال ابن الأثير- في بيان معنى الحديث -: (طوبى للمهاجرين الذين هجروا
 أوطانهم في الله تعالى) لانتهاء في غريب الحديث ٤١/٥. وهذا هو الوصف
 الأول للغرباء.

(٣) قوله ﷺ: (الذين يصلحون إذا فسد الناس): أي يصبرون على الدين
 ولا ينظرون إلى فساد الناس فيتابعونهم، وكونهم يصلحون بين الناس هذا
 يحتاج إلى صبر، وثبات، وفقه، ومعرفة بالأول. وهذا هو الوصف الثاني
 للغرباء، وهذا جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٦٦٩٠
 وإسناده ضعيف جداً بهذه السياقة، وقد رواه الإمام أحمد بنحوه بإسناد
 جيد من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ برقم (١٦٠٤)، ولفظه: (إن
 الإيمان بدأ غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس،
 والذي نفس أبي القاسم بيده ليأرزق الإيمان بين هذين المسجدين، كما =

وللترمذي^(١) من حديث كثير بن عبد الله، عن أبيه، عن جده:
(طوبى للغرباء الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي)^(٢).....

= تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جَحْرِهَا).

(١) انظر ضعيف سنن الترمذي: ٢٦٣٠، وقال الألباني: ضعيف جداً، وقد حسنه الترمذي.

(٢) قوله: (الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي): أي يكونون صالحين في أنفسهم، ويصلحون ما أفسد الناس بالدعوة إلى الله ﷻ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الخير قدر استطاعتهم، فالله ﷻ يقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ ﴿١١٧﴾. ولم يقل: صالحون.

فمعنى مصححون: يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر، وأما إذا كانوا صالحين في أنفسهم وساكتين فإنهم يهلكون مع الهالكين، وتعمهم العقوبة في الدنيا، ثم يعثون يوم القيامة على نياتهم. وهذا هو الوصف الثالث للغرباء.

إذا جاء في وصف الغرباء في الأحاديث ثلاثة أوصاف:

١ - النزاع من القبائل.

٢ - الذين يُصلحون إذا فسد الناس.

=

= ٣ - الذين يُصلحون ما أفسد الناس.

ولفظ حديث الترمذي هو قوله ﷺ: (إن الدين ليأرزُ إلى الحجاز كما تآرزُ الحية إلى جحرها، وليَعْقِلَنَّ اللهُ الدين في الحجاز، مَعْقِلَ الأروية من رأس الجبل، إن الدين بدأ غريباً، ويرجع غريباً، فطوبى للغرباء، الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي) إقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ويشهد له حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في المسند، السابق برقم (١٦٠٤).

ومعنى يآرز - بكسر الراء - وقد تُضم: أي ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض.

و(الحجاز): اسم مكة والمدينة، وما حواليهما من البلاد، وسميت حجازاً، لأنها حجزت: أي منعت وفصلت بين بلاد نجد والغور. ومعنى (ليعقلن): أي ليعتصمن: أي يمتنع بالحجاز ويتخذ منه حصناً وملجأً.

و(الأروية): الأثنى من المعز الجبلي. وهي: بضم الهمزة وتكسر، وتشدد الياء. والمعقل: مصدر بمعنى العقل.

والمعنى: أن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يآرز بين المسجدين - مسجد مكة ومسجد المدينة - كما تآرز الحية في جحرها، والمراد أن أهل الإيمان يفرون بإيمانهم إلى المدينة، وقاية بها عليه، أو لأنها وطنه =

وعن أبي أمية قال: سألت أبا ثعلبة رضي الله عنه، فقلت: يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية؟ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ ^(١) [المائدة: ١٠٥]،

=الذي ظهر وقوي بها، وأن الدين في آخر الزمان عند ظهور الفتن واستيلاء الكفرة والظلمة على بلاد أهل الإسلام، يعود إلى الحجاز كما بدأ منه.

وفي هذا تنبيه على أن نصرة الإسلام، والقيام بأمره يصير محتاجاً إلى الخروج عن الأوطان، والصبر على مشاق الغربة كما كان في أول الأمر. فأهل الدين في الأول كانوا غرباء ينكرهم الناس، ولا يخالطونهم وكذا في الآخر، فطوبى للغرباء أولاً وآخرأ الذين يعملون بسنتي ويظهرونها بقدر طاقتهم). اهـ. مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، هامش ص ٩٩، ١٠٠، من مج ٣ قسم الحديث]. وانظر: امسند الإمام أحمد بن حنبل ١٥٧/٣، ١٥٨ - الهامش L.

(١) هذه الآية من سورة المائدة افتتحت بندااء الله تعالى للمؤمنين وحث لهم - ومعنى قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: أي ألزموا أنفسكم، واعتنوا بأمر أنفسكم أولاً.

- ومعنى قوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾: يعني أن ضلال =

قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: (بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر^(١))،

=من ضل على نفسه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، فلا يُسأل أحدٌ عن عمل أحد، وإنما يُسأل كل إنسان عن عمل نفسه: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١]، ولكن عليكم بالدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا واجب لا يسقط بدليل الأدلة الأخرى الواردة في ذم من تركه، كما قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باقٍ إلى قيام الساعة، فليس معنى الآية إسقاطها كما يفهمه بعض الجهال أو المغرضين الذين يريدون أن يضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما معنى الآية: أنه لا يضرك ضلال غيرك إذا ضل، ولم يقبل الهداية، والموعظة والنصيحة، فأنت قد برئت ذمتك بالنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن اهدوا فهدايتهم لأنفسهم، وإن ضلوا فضررهم عليهم.

(١) قوله ﷺ: (بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر): كأن السائل فهم =

حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك العوام^(١)،

=من ظاهر الآية أن الإنسان لا يلزمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعليه أن يشتغل بإصلاح نفسه، فأرشده النبي ﷺ على التزام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) قوله: (حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك العوام):

(شحاً مطاعاً): الشح: البخل مع الحرص، ومطاعاً: يعني أن نفس الإنسان تطاوعه على الشح.

(وهوى متبعاً): أي ليس عليه أثارة من علم لا من كتاب ولا من سنة ولا من عمل سلف هذه الأمة.

(ودنيا مؤثرة): أي مؤثرة على الآخرة.

(وإعجاب كل ذي رأي برأيه): سواء كان هذا الرأي صحيحاً أو غير صحيح، ولكنه يكون مستمسكاً بهذا الرأي ولو تبين له فساده.

(فعليك بنفسك): قال العلماء: هذا هو الرخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني إذا عم الفساد وطغى، وكانت الفتن، فإنه حينئذ يكون مشتغلاً بنفسه، لأنه في زمن فتنة، وحتى =

فإن من ورائكم أياماً الصابرين فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم. قلنا: منا أم منهم؟ قال: بل منكم^(١) رواه أبو داود^(٢) والترمذي^(٣).....

= لو كان مستمسكاً بالسنة، فإن الخشية عليه في الفتنة عظيمة. فعليه بإصلاح نفسه.

(ودع عنك العوام): أي ودع عنك عامة الناس، وحيثذ يترخص له في ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر - كما ذكره أهل العلم -.

(١) قوله: (فإن من ورائكم أياماً الصابرين فيهن مثل القابض على الجمر): يعني من بعدكم أياماً الصابرين فيها على دينه مثل القابض على الجمر، لأنه يلحقه من الأذى والشدة، ما كأنه ممسك بجمرة، وهي تؤذيه، كناية عن شدة تمسكه بالدين.

(للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً...): يعني أجر العامل في زمن الغربة يتضاعف، ويكون موازياً لعمل خمسين رجلاً من الصحابة. وهذا ليس من باب تفضيل الغرياء الذين يأتون في آخر الزمان على الصحابة رضي الله عنهم، ولكن العمل في زمن الغربة يضاعف بأجر خمسين عملاً من أعمال الصحابة رضي الله عنهم التي تقع مماثلة لعمل هذا، وأما فضل الصحابة رضي الله عنهم، وما عملوه في الإسلام فهذا شيء آخر، لا يوازئهم غيرهم =

= في الفضل.

ويبين الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - سبب هذه المضاعفة فقال: (لأن الصحابة كانوا مع الرسول ﷺ، والدين عزيز في ذلك الوقت والمسلمون كثيرون، وأما هذا فهو غريب ومع هذا يتمسك بالدين، ويدافع عنه، مع أنه ليس له أنصار ولا أعوان، فلذلك حاز على هذا الأجر وصار في هذه المسألة خاصة أفضل من الصحابة - أي مسألة الصبر وقلة الأنصار والأعوان - والصحابة أفضل منه في أمور أخرى، في الصعبة والجهاد مع رسول الله ﷺ والهجرة، فهو أفضل منهم في خصلة، وهم أفضل منه في خصال). اهـ.

وفي هذا الحديث بيان لفضل العمل في وقت الغربة، وفيه فضل الغرياء. والعمل لا شك أنه من الإسلام، إذا فالإسلام يتفاضل بعضه على بعض بالنسبة للأوقات، والأمكنة، والأحوال. ففضل الإسلام في وقت الغربة بينه النبي ﷺ في هذا الحديث، ويبين أجر العاملين فيه.

(٢) انظر ضعيف سنن أبي داود: ٤٣٤١. وقال الألباني: ضعيف، لكن فقرة أيام الصبر ثابتة.

(٣) انظر ضعيف سنن الترمذي: ٣٠٥٨. وقال الألباني: ضعيف، لكن بعضه

صحيح.

وروى ابن وضّاح^(١) معناه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ولفظه: (إن من بعدكم أياماً الصابر فيها المتمسك بمثل ما أنتم عليه اليوم له أجر خمسين منكم. قيل: يارسول الله: منهم؟ قال: بل منكم)^(٢). ثم قال^(٣): أنبأنا محمد بن سعيد، أنبأنا أسد، قال: أنبأنا سفيان بن عيينة عن أسلم البصري، عن سعيد أخي الحسن يرفعه، قلت

(١) في كتابه للبدع والنهي عنها برقم ١١٨٨.

(٢) يقول الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - عند شرحه لهذا الحديث: (هذه الأيام التي يشتد فيها غربة الإسلام وقلّة الأنصار، وكثرة الأعداء والمخذلين والمرجفين، والله أعلم أن هذه مبادئ لهذا الزمان، وقد يأتي زمان أشد من هذا، فالذي يثبت على دينه وجهاده ودعوته فإنه يكون كالقايض على الجمر من شدة ما يلقي من الناس، يحتاج إلى صبر شديد. وقوله: (بمثل ما أنتم عليه): ما عليه الصحابة رضي الله عنهم، فالذي يتمسك بالدين، ويثبت على طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يكون من الفرقة الناجية، فيصبر على مخالفة الناس، وعلى لومهم وذمهم، بل يصبر على ما يناله منهم في نفسه وبدنه؛ لأنه على الدين والحق). اهـ.

(٣) أي ابن وضّاح في كتابه للبدع والنهي عنها برقم ١١٨٩ وقال المحقق إسناداه

ضعيف.

لسفيان^(١): عن النبي ﷺ قال: نعم قال: (إنكم اليوم على بينة من ربكم تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر وتجاهدون في الله، ولم يظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل، وسكرة حب العيش وستحولون عن ذلك فلا تأمرون بالمعروف، ولا تنهون عن المنكر، ولا تجاهدون في الله وتظهر فيكم السكرتان، فالتمسك يومئذ بالكتاب والسنة له أجر خمسين. قيل: منهم؟ قال: لا، بل منكم^(٢).....

(١) (قلت لسفيان): القائل هو أسد بن موسى، يسأله هل هذا الذي ترويّه حديثاً عن النبي ﷺ؟ قال: نعم.

(٢) قوله: (إنكم اليوم على بينة من ربكم): يعني على علم، فتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتجاهدون في الله. ثم قال: (ولم يظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل، وسكرة حب العيش): لأن الجهل يأخذ بالعقل، وكذا حب العيش والطمع بالدنيا يأخذ بالعقل. (وستحولون عن ذلك): أي عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والجهاد في الله.

(وستظهر فيكم السكرتان): أي سكرة الجهل، وسكرة حب العيش. (فالتمسك يومئذ بالكتاب والسنة له أجر خمسين): يعني من الصحابة رضي الله عنهم، وهذا يوافق الحديث السابق، والذي فيه: (للعامل فيهن أجر=

وله ^(١) بإسناد عن المعافري قال : قال رسول الله ﷺ : (طوبى للغرباء الذين يُمسكون بكتاب الله حين يُترك ، ويعملون بالسنة حين تُطفأ) ^(٢).

= خمسين منكم).

وهذا يدل على فضل الغرباء ، وفضل العمل في وقت الغربة ، وفضل الاستمسك بالدين في زمن الغربة.

(١) أي لابن وضاح في كتابه البدع والنهي عنها برقم ١١٦٩ ، وإسناده ضعيف.

(٢) المعافري هو بكر بن عمرو المعافري من التابعين ، فالحديث مرسل.

وقوله : (طوبى للغرباء) : هذا يوافق الحديث الأول الذي مر معنا. وقد ذكره الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله ؛ لأن فيه زيادة بيان لمعنى الغرباء ، ولا شك أن هذه الآثار أو الأحاديث ، وإن كان في أسانيدنا مقال ، إلا أنها مجتمعة تعطي قوة لأصل هذا الحديث ، كما أن شواهدنا من الكتاب والسنة تدل على أنها تصلح للاستشهاد بها.

وقوله : (الذين يُمسكون بكتاب الله حين يترك ، ويعملون بالسنة حين تطفأ) : أي أنهم يتمسكون بأنفسهم ، ويُمسكون غيرهم بكتاب الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعليم ، والدعوة إلى الله ، كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ =

= الصَّالِحِينَ ﴿١٧٠﴾ الأعراف: ١٧٠.

فلا شك أن الذي يثبت على الدين عند الفتن والشُرور، وانقلاب الناس ضده فهذا يُرجى له خير كثير، ولكن هذا نادر فأكثر الناس لا يصبر. وللحافظ ابن رجب رحمته الله رسالة قيمة في مسألة الغربة بعنوان: اجلاء الكربة في حال أهل الغربة.



باب التحذير من البدع^(١)

عن العرياض بن سارية قال: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون. قلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودّع فأوصنا)^(٢).....

(١) عقد المؤلف ﷺ هذا الباب في آخر الكتاب ليحذر من البدع، لأنها من أعظم أسباب عدم إدراك الإنسان لفضل الإسلام كاملاً، ولأنها من أخطر الأشياء التي تقدر في إسلام العبد، ولا تجعله ينال فضل الإسلام كاملاً.

وإنما كانت في هذه الخطورة؛ لأن الكفر يخشاه المسلمون ويتقونه غالباً والمعاصي كذلك يوجل منها المسلمون ولو عملوها، وأما البدع فإنها قد تسري في النفوس، من حيث إنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ويتقربون إلى الله ﷻ بهذه البدع التي يُحرموا بها فضل الإسلام، وقد تؤول بهم إلى الخروج من الدين بالكلية - والعياذ بالله - وهم لا يشعرون.

(٢) قوله: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة.... فأوصنا): كان النبي ﷺ يتخول أصحابه ﷺ بالموعظة فكانت موعظته بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، وقيل أنها كانت بعد صلاة الفجر، ففهموا منها أنها وصية من رسول الله ﷺ، وأن حياته أوشكت على النهاية، فطلبوا منه =

قال: (أوصيكم بتقوى الله ﷻ، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد^(١)،

=الوصية؛ لأن من عادة المودع الذي يريد السفر أو الموت أن يوصي أولاده من بعده، وهذه من عادة الأنبياء - على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والتسليم - أنهم كانوا يوصون ذراريهم.

(١) قال: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد): فقوله: (أوصيكم بتقوى الله): كلمة جامعة لخصال الخير، يدخل فيها فعل الواجبات، وترك المحرمات؛ لأن هذا هو الذي يقي من عذاب الله. ومن تقوى الله (السمع والطاعة) لمن ولاء الله تعالى أمر المسلمين وإن كان فاسقاً، أو ظالماً، أو فاجراً - ما لم يكن كافراً - وذلك لأنه بالسمع والطاعة لهم اجتماع الكلمة، وقوة الأمة، وإقامة الحدود، وإنصاف المظلوم، لهذا وجبت طاعتهم في غير معصية الله ﷻ. والأعداء يريدون تقويض جماعة الإسلام، والقضاء على الإسلام، وذلك لأن الإسلام لا يصلح إلا بجماعة، والجماعة لا تقوم إلا بولاية، والولاية لا تقوم إلا بالسمع والطاعة، والأعداء لا يريدون ذلك حتى يسهل انقياد المسلمين لهم. قوله: (وإن تأمر عليكم عبد): وفي بعض الروايات: (عبدًا حبشياً كأن رأسه زبيبة) فإنه تجب طاعته؛ لأن ولي الأمر يُطاع لمنصبه ومكانته، لا ينظر إلى شخصه وهيبته، وإنما يُنظر إلى منصبه العظيم الذي يتولاه فطاعته ليس =

وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُوا عليها بالنواجذ^(١)،

=لمنتفعته هو، وإنما لمنفعة المسلمين ومصلحتهم، فهذا من باب الحث والتأكيد.

(١) قوله: (وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً.... النواجذ): هذا خبر معناه التحذير، فإن من طالت به الحياة من الصحابة رضي الله عنهم فسيرى اختلافاً كثيراً فهذا في عصر الصحابة فكيف بتطاول الزمن، وما يحصل فيه من الاختلاف والفرق والأحزاب. لذا كانت وصيته رضي الله عنه لنا عند الاختلاف هي التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين فقال: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ): المراد بسنته رضي الله عنه هي طريقته، وسنة الخلفاء: طريقتهم لأن عملهم توطيد لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيت لها.

وهذه الوصية العظيمة توافق قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرُّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ للنساء: ٥٩.

والخلفاء الراشدون هم الأربعة: (أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين)؛ لأن الخلافة انتهت بعد مضي ثلاثين سنة من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن: (الخلافة ثلاثون سنة ثم يكون بعد ذلك =

وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة^(١).....

=مُلكاً) إسناده حسن للسنة لابن أبي عاصم: ١١٨١.

فكان أول الملوك في الإسلام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وقد كان ملك رحمة كما نص عليه أهل العلم.

- (عضوا عليه بالنواجذ): النواجذ جمع ناجذة وهي الأضراس، فقد شبه الرسول ﷺ الواقع في الفتن بالواقع في لجة البحر، فهذا لا ينجو من اللُجَّة إلا بجبل يعتصم به، ويمسك به حتى لا يغرق، ومن حرصه على الحبل يعض عليه بنواجذه، فلا يكفي يامسكه بيديه، بل يعض عليه بأضراسه، وهذا من شدة الخطر، وشدة الحرص على النجاة كذلك أنتم في أيام المحن ليس لكم نجاة إلا حبل السنة تمسكوا به، فإن انطلق فما لكم نجاة.

(١) قوله: (وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة):

إياكم: كلمة تحذير، والمعنى: إياكم من مخالفة سنة الرسول ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين، فما خالف سنة الرسول ﷺ وسنة الخلفاء فإنه يكون من محدثات الأمور، وحذر منه الرسول ﷺ، وإن كان أصحاب البدع يحسنونها ويقولون: هذا طاعة لله وتقرب إليه، فإنه لا ينفعهم، فلا يجوز التقرب إلى الله تعالى إلا بما شرع.

فالعامل لا يقبل إلا بشرطين:

=

قال الترمذي: حديث حسن صحيح^(١).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: (كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمد فلا تعبدها، فإن الأول لم يدع للأخر مقالاً، فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم)^(٢) رواه أبو داود^(٣).....

١- الإخلاص فما كان فيه شرك فإنه لا يقبل.

٢- المتابعة فما كان فيه مخالفة فإنه بدعة لا يقبل.

ومعنى المحدثات: المتدعات المخالفة للسنة.

(فإن كل بدعة ضلالة): هذا فيه رد على الذين يقسمون البدعة إلى بدعة

حسنة وبدعة سيئة، بأن هذا التقسيم باطل؛ لأن فيه معاندة للرسول صلى الله عليه وسلم

الذي قال: (كل بدعة ضلالة).

وقد أورد المؤلف رحمته الله هذا الحديث في هذا الباب (التحذير من البدع) لما

اشتمل عليه من التحذير من البدع في قوله: (ولياكم ومحدثات الأمور فإن

كل بدعة ضلالة).

(١) حديث صحيح أخرجه الترمذي في صحيح سنن الترمذي: ٢٦٧٦.

(٢) الأصل في الاتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، لكن لما كان أعرف الناس بها هم

صحابته رضي الله عنهم، فهم الذين يروونها، ويبينونها، ويعملون بها فإن الأخذ بما

يعمله الصحابة رضي الله عنهم هو أخذ بسنته صلى الله عليه وسلم، لأنهم أقرب الناس إليه، =

=ولذلك أثنى الله تعالى على أتباعهم بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ
 الْمُهَجِّرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾: أي بعلم ومعرفة لهديهم
 وستهم، لا بجهل وغلو وإفراط أو تفريط، بل بإحسان يتقنون الاقتداء
 بالصحابة من المهاجرين والأنصار، ثم قال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
 وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
 التوبة: ١٠٠، فالصحابة رضي الله عنهم حُجَّة إذا عملوا عملاً فهو من سنة الرسول
ﷺ، وأما من جاء بعدهم فإنه يخطئ ويصيب وقد حث ابن مسعود رضي الله عنه
 على الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ فقال: (من كان مستناً فليستن بمن
 قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا
 أفضل هذه الأمة وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً قوم اختارهم
 الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فأعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في
 آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على
 الهدى المستقيم) منهاج السنة لابن تيمية: ١/١٦٦.

وقوله: (فاتقوا الله يا معشر القراء): يريد العلماء؛ لأنه في ذلك الوقت
 القراء هم العلماء، لأنهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا
 معانيهن، والعمل بهن، بخلاف قراء آخر الزمان فهم ليسوا فقهاء، بل مجرد
 قراء يقرأون القرآن ويحفظونه مجوداً فحسب.

(٣) لم أقف عليه في لسن أبي داود.

وقال الدارمي^(١): أخبرنا الحكم بن المبارك، أنبأنا عمر بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: (كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد^(٢) فجاءنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إنني رأيت في المسجد أنفاً امرأة أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه.

قال: رأيت في المسجد قوماً جلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة فيهللون مائة،

(١) في استننه: ٢١٠ بإسناد جيد.

(٢) قوله: (كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود..... إلى المسجد): هذا من تقدير السلف لأهل العلم، كانوا يحرصون على الأخذ منهم، والمشى معهم، ومجالستهم، وقد كان ابن مسعود رضي الله عنه مفتياً ومعلماً وقاضياً وكان أبو موسى الأشعري أميراً على الكوفة آنذاك.

ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قلت: ما قلت لهم شيئاً انتظر رأيك، أو انتظر أمرك^(١).

قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى، ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسييح، قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء^(٢).....

(١) قوله: (فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن..... انتظر أمرك): أصل التهليل والتكبير والتسييح مشروع، لكن جعله على هذه الصفة يتحلقون حلقاتاً، ويتجمعون على الذكر الجماعي، وعندهم واحد يقول لهم: سبحوا مائة، كبروا مائة... الخ، وهم يعدون بالحصى. هذه الصورة بدعة لم يفعلها الرسول ﷺ، ولا أمر بها، وكل بدعة تؤول إلى شر، وقد جاء في آخر هذه القصة حيث صار هؤلاء مع الخوارج يُقاتلون المسلمين، فأل بهم الابتداع إلى الخروج على ولاة أمر المسلمين.

(٢) قوله (أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم..... من حسناتكم شيء): والمعنى أن هذا العَدَّ بدعة، هل تعد أنت على الله، والله تعالى لا يخفى عليه شيء ولكن أنت عليك أن تعد سيئاتك وتوب منها، وأما الحسنات فاعملها=

ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبَلْ، وأنيته لم تُكسّر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتحو باب ضلالة^(١)؟...

=ولا تعددها فتقول: أنا سبحت مائة، أو ألف ونحو ذلك؛ لأن هذا من الرياء، ومن البدع؛ لأنه لم يرد في السنة أن الإنسان يحصي عمله أو يحصي حسناته، وإنما الذي ورد هو الذكر المقيد بعدد معين في أدبار الصلوات، وفي أذكار الصباح والمساء، ونحو ذلك، وأما ما جاء مطلقاً فلا يحدد بعدد، والله أعلم.

(١) قوله: (ويحكم يا أمة محمد.... أو مفتحو باب ضلالة): وذلك لأن

ابن مسعود رضي الله عنه توفي عام ٣٢هـ وعامة أصحاب النبي رضي الله عنه موجودون ومنهم عثمان، وعلي، وسعد، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد ابن زيد رضي الله عنه، وهؤلاء من العشرة المبشرين بالجنة، وغيرهم من أصحاب النبي رضي الله عنه كابن عباس، وأبي هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنه جميعاً كانوا متوافرين بين أظهرهم، ومع ذلك فعلوا هذه البدعة دون أن يسألوا لذا أنكر عليهم ابن مسعود رضي الله عنه لعلمه أن هذا ليس من سنة النبي رضي الله عنه ولم يكن عند أبي موسى الأشعري رضي الله عنه علم فتوقف، حتى سأل ابن مسعود رضي الله عنه.

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مرید للخير لن يصيبه^(١). إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم^(٢).
فقال عمرو بن سلمة رضي الله عنه: رأينا عامة أولئك الخلق يطاعوننا يوم النهروان مع الخوارج^(٣). هذا آخر ما تيسر.

- (١) قوله: (قالوا والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير.... لن يصيبه): يعني أن مجرد النية أو إرادة الخير لا تبرر البدعة، فالبدعة شر، وإن كانت نية صاحبها وقصده حسناً، فهذا لا يبرر البدعة حتى يكون العمل موافقاً للكتاب والسنة.
- (٢) قوله: (إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن.... ثم تولى عنهم): ثم ذكر ابن مسعود رضي الله عنه حديث الخوارج الذين يغلبون في الدين ويعملون من غير دليل أو فقه، ويقرأون القرآن من غير فهم له، ويمتهدون من عند أنفسهم، وبآرائهم من غير أن يتفقهوا في دين الله. فهذه طريقة الخوارج، فتوقع رضي الله عنه أن هؤلاء الذين في المسجد سيؤولون إلى منهج الخوارج، وصاروا منهم بالفعل، وذلك لأن البدعة تجر إلى الشر.
- لذا قال: (وأيم الله لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم)، وهذا يدل على فقهه رضي الله عنه، وقوته في الحق.

(٣) فقال عمرو بن سلمة رضي الله عنه: (رأينا عامة أولئك الخلق يطاعوننا يوم=

=النهروان مع الخوارج): والنهروان: موقعة جرت بين علي عليه السلام والخوارج، ونصر الله أمير المؤمنين عليهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة وكانت بالعراق فهؤلاء الذين أخذوا بهذه البدعة الصغيرة، والتي ما أرادوا بها إلا الخير، والاجتماع على الذكر، ولكن على غير هدى، جرهم ذلك إلى أن يكونوا مع الخوارج، كما توقع ابن مسعود رضي الله عنه.

وهذا فيه التحذير من البدع من جهات:

الأولى: أن عمل المبتدع لا يقبل ولا يرفع إلى الله عز وجل؛ لأنها - البدعة - ليست على هدى، فيكون عمله هذا هباءً منثوراً، بدليل قوله عليه السلام: (يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم)، وقول ابن مسعود رضي الله عنه: (فعدوا سيئاتكم).

الثانية: أن البدع لا يستهان بها ولو كانت صغيرة، لأنها قد تؤول بصاحبها إلى البدع الكبيرة.

ونختم هذا الباب ببيان أسباب نشوء البدعة كما ذكرها الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله - في معرض شرحه لكتاب [أصول الإيمان] حيث ذكر أن أسباب نشأة البدع:

١- الجهل: فالبدعة يُنشئها الجهل بالسنة - وإلا فالسنة كافية - حيث ينشئ عبادة يتعبدها، فيصير إلى البدعة لأجل جهله.

٢- الهوى: وهو من أعظم أسباب حدوث البدع في هذه الأمة =

=فالخوارج والمرجئة والقدرية عندهم أهواء مع الجهل والتأويل.
٣- إرادة الخير: فيكون عنده جهل مع رغبة في الخير كما فعل هؤلاء
أصحاب الحلقة، وقد رد ابن مسعود رضي الله عنه على هذه الشبهة - إرادة الخير -
بأبلغ رد عندما قال: (كم من مرید للخير لن يصيبه).
٤ - الغلو: وهو مجاوزة الحد المأذون به، إما في المسائل العلمية أو العملية
فمن جاوز الحد المشروع فإنه لا يؤمن عليه الصيرورة إلى البدعة فهؤلاء
أصحاب الحلقة غالوا في الأذكار إلى أن خرج بهم إلى البدعة. والغلو من
أعظم أسباب ترك السنة والأخذ بالبدع.

* * *

الغائمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله ننال المكرمات
والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه حتى الممات...
أما بعد :

فإنه من فضل الله تعالى ومنتته علينا أن يسر لي الوقوف على هذا
الكتاب القيم ، وسماع شروح العلماء له ، وتلخيصها عبر تلك
الصفحات السابقة ، وهذا جهد المقل ، وعمل المخل ، فإن أحسنت
فمن الله تعالى تفضلاً وكرماً ، وإن أسأت فمن نفسي ومن الشيطان
وأسأل الله تعالى أن يتجاوز عني بعفوه إنه سميع مجيب .

وحتى تكتمل الفائدة ، ويستطيع القارئ الكريم أن يقف على
مقاصد الكتاب ألخص هنا هذه المقاصد في النقاط التالية :

(١) أن كتاب [فضل الإسلام] كتاب منهجي ودعوي ، فهو يبين لنا

منهج أهل السنة والجماعة في العمل والدعوة .

(٢) بيان فضل الإسلام باعتبار الزمان والمكان والحال ، وفضل الله

تعالى علينا بهذا الدين ، ووجوب شكره حق الشكر .

(٣) أن الدخول في الإسلام ليس بالانتساب فقط، بل بتحقيق شرائع الدين التي أمر الله بها، سواء في الواجبات والمستحبات أو التي نهى عنها من المحرمات والمكروهات، حتى يكون ممثلاً لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ١٢٠٨].

(٤) لكي نحقق هذا الدين تحقيقاً كاملاً لا بد أن نتعلم ما هو تفسير الإسلام، وما يتناوله من حق الله تعالى، وحق رسوله ﷺ وما يدخل تحت ذلك من حق المسلمين عامة، وحق ولاية الأمر خاصة، ونحو ذلك مما جاء بيانه في هذا الكتاب.

(٥) بيان أن هذا الدين كامل لا يحتاج إلى أي مذهب، أو دين آخر بل هو مستغن بالكتاب والسنة عن كل ما سواه.

(٦) التحذير مما يفرق الأمة من الأسماء والشعارات والألقاب التي فتكت بجسم الأمة، ولا تزال حتى ترجع إلى المورد العذب الزلال وهو ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ في العقيدة والعمل.

(٧) التحذير من خطر البدع، وأنها أشد من الكبائر. وحسبك

دليلاً على خطورتها نهاية السوء التي يؤول إليها المبتدع دنيا
وأخرة، من ذلك:
أ) أن عمله مردود.

ب) أن التوبة محجوبة عنه ما برح مقيماً على بدعته.

ج) لا يرد الحوض يوم القيامة.

د) أن عليه إثم من عمل ببذعته إلى يوم القيامة.

هـ) أن صاحب كل بدعة ملعون لقوله ﷺ: (من أحدث فيها

حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين...).

و) أن صاحب كل بدعة لا يزداد من الله إلا بعداً، لحديث:

(يمرقون من الدين ثم لا يعودون).

(٨) أن الثبات على هذا الدين حتى الممات أعظم ما يجب الصبر

عليه، والاستعانة بالله على تحقيق ذلك، ولا يكون فضل

الإسلام كاملاً إلا لمن كان على ذلك.

(٩) ضرورة تعلم التوحيد وما يضاده من أنواع الشرك، وأنواع

الردة، ونواقض الإسلام؛ حتى لا يقع فيها المسلم وهو غافل

ويصير في الآخرة مع الخاسرين وهو لا يعلم - عياداً بالله -.

(١٠) التحذير من دعاة الضلالة، وعدم الاغترار بالكثرة فإن الحق يُعرف بالاتباع وليس بالكثرة.

(١١) الحذر من الأمن من مكر الله تعالى، فالؤمن الفطن هو الذي ينزل جميع هذه النصوص على نفسه فيكون دائماً متيقظاً ومشمراً من الوقوع في البدع والمعاصي، حتى لا يقع فيما وقع فيه الغافلون.

(١٢) الحرص على التمسك بهذا الدين شريعة وعقيدة في زمن الغربة هذا، والدعوة إليه، لما جاء في فضل العمل في زمن الغربة، وفضل الغرباء.

هذا وأسأل الله العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعلنا من المتمسكين بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، والذابين عن هذا الدين، وأن يسقينا من حوض نبيه ﷺ شربة هنيئة لا نظماً بعدها أبداً، وأن يرزقنا الثبات على الدين حتى الممات هو ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبته

حنان بنت علي بن محمد اليماني

وفرغت منه في اليوم الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة

لعام خمسة وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية

فهرس المصادر والمراجع

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة - الشيخ الإمام أبو عبدالله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي - تحقيق: رضا بن نعتان معطي - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م - دار الراية - الرياض.
- (٣) الأحاديث المختارة - الإمام ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي - تحقيق: أد. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش - الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م - دار خضر - بيروت - لبنان.
- (٤) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان.
- (٥) الاستذكار - الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي - تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - مؤسسة الرسالة - دمشق - بيروت.
- (٦) الاستيعاب في بيان الأسباب - سليم بن عيد الهاللي، ومحمد بن موسى آل نصر - الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية.
- (٧) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير - د. محمد بن محمد أبو شهبة - الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ - مكتبة السنة - القاهرة.

- (٨) إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان - الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية - تحقيق: محمد حامد الفقي - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- (٩) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم - شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية - تحقيق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - مكتبة الرشد - الرياض.
- (١٠) البدع والنهي عنها - الإمام الحافظ محمد بن وضاح القرطبي - تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
- (١١) التحفة العراقية في الأعمال القلبية - شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية - تحقيق: د. يحيى بن محمد الهندي - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م - مكتبة الرشد - الرياض.
- (١٢) تحكيم القوانين - العلامة المحدث محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ - الطبعة الثالثة ١٤١١هـ.
- (١٣) تفسير الطبري - الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- (١٤) تفسير القرآن العظيم - الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي - الطبعة السادسة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م - دار المعرفة - بيروت - لبنان.
- (١٥) التفسير القيم - الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية - جمعه: محمد أويس الندوي - حققه: محمد حامد الفقي - الطبعة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - دار الفكر - بيروت - لبنان.

- (١٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر الأندلسي - تحقيق: أ. مصطفى بن أحمد العلوي، وأ. محمد عبد الكبير البكري. ط. د. مكتبة ابن تيمية - المركز الإسلامي - القاهرة.
- (١٧) التمهيد لشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد - الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - دار التوحيد - الرياض.
- (١٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - تحقيق: محمد زهري النجار - طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٤هـ.
- (١٩) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم - الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي الدمشقي، الشهير بابن رجب - تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس - الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م - مؤسسة الرسالة - بيروت.
- (٢٠) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول - الشيخ عبد الله بن صالح الفوزان - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - مكتبة الرشد - الرياض.
- (٢١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني - ط. د. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- (٢٢) الذيل على النهاية في غريب الحديث والأثر - أبو عبد الله عبد السلام بن محمد عمر علوش - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م - دار ابن حزم - بيروت - لبنان.

- (٢٣) الزهد - الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني - تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.
- (٢٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها - الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني - الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق.
- (٢٥) السنة - الحافظ أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني - ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق.
- (٢٦) سنن أبي داود - الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني - ومعه كتاب معالم السنن للخطابي - إعداد: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد - الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م - دار الحديث بيروت - لبنان.
- (٢٧) سنن الترمذي [الجامع الصحيح] - الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر - ط. د - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.
- (٢٨) سنن الدارمي - الإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي - تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - دار الريان - القاهرة.
- (٢٩) سير أعلام النبلاء - الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - مؤسسة الرسالة - بيروت.

- (٣٠) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن ابن منصور اللالكائي - تحقيق: د. أحمد سعد حمدان - ط. د. - دار طيبة - الرياض.
- (٣١) شرح السنة - الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي - تحقيق وتعليق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش - الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م - المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان.
- (٣٢) شرح صحيح مسلم - الإمام يحيى بن شرف النووي - ضبط النص: محمد فؤاد عبد الباقي - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- (٣٣) الشريعة - الإمام المحدث أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى - تحقيق: د. عبد الله ابن عمر الدميحي - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م - دار الوطن - الرياض.
- (٣٤) الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه - الشيخ أحمد بن حجر آل بن علي - أمر بطبعه جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود - الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - مطبعة الحكومة بمكة.
- (٣٥) صحيح البخاري - الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - ضبطه ورقمه: د. مصطفى أديب البغا - الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - دار ابن كثير - دمشق - بيروت.
- (٣٦) صحيح الترغيب والترهيب - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م - مكتبة المعارف - الرياض.
- (٣٧) صحيح سنن ابن ماجه - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م - المكتب الإسلامي - بيروت.

- (٣٨) صحيح سنن أبي داود - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - المكتب الإسلامي - بيروت.
- (٣٩) صحيح سنن الترمذي - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - المكتب الإسلامي - بيروت.
- (٤٠) صحيح مسلم - الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - وقف على طبعه: محمد فؤاد عبد الباقي - ط. د - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- (٤١) ضعيف سنن أبي داود - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م - المكتب الإسلامي - بيروت.
- (٤٢) ضعيف سنن الترمذي - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق.
- (٤٣) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية - الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية - ط. د - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- (٤٤) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب - محمد حامد الناصر - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م - مكتبة الكوثر - الرياض.
- (٤٥) العقلانيون أفراخ المعتزلة - علي بن حسن عبد الحميد الحلبي - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م - مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة.
- (٤٦) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب - الشيخ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني - ضبطه وصححه: الشيخ محمد بن عبد العزيز الخالدي - الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

- (٤٧) الغريبين في القرآن والحديث - العلامة أبو عبيد أحمد بن محمد الهروري صاحب الأزهرى - تحقيق ودراسة : أحمد فريد المزيدي - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م - مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة - الرياض .
- (٤٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري - الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - رقم كتبه وأبوابه : محمد فؤاد عبد الباقي - قام بإخراجه : محب الدين الخطيب - ط. د. دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- (٤٩) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني - ط. د. دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- (٥٠) فضائل الصحابة - الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - حققه وخرج أحاديثه : د. وصي الله بن محمد عباس - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - دار العلم - المملكة العربية السعودية .
- (٥١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - قسم الحديث - عبد العزيز بن زيد الرومي وآخرون - ط. د. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض .
- (٥٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، وساعده ابنه محمد - طبعته وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بأمر من الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المملكة العربية السعودية .
- (٥٣) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه - أ. مسعود الندوي - ترجمة وتعليق : عبد العليم عبد العظيم البستوي - مراجعة وتقديم : د. محمد تقي

- الدين الهلالي - ط. د ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- (٥٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل - شارك في التحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون - الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.
- (٥٥) مسند الدارمي المعروف ب [سنن الدارمي] - الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي - تحقيق: حسين سليم أسد الداراني - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م - دار المغني - الرياض.
- (٥٦) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير - إعداد: جماعة من العلماء بإشراف الشيخ صفى الرحمن المباركفوري - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - دار السلام - الرياض.
- (٥٧) المصنف في الأحاديث والآثار - الإمام الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة - تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - دار التاج - بيروت - لبنان.
- (٥٨) مظاهر التيسير ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية - د. فرج علي الفقيه حسين - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م - دار قتيبة - بيروت - لبنان.
- (٥٩) منهاج السنة النبوية - شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية - ط. د - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- (٦٠) ميزان الاعتدال في نقد الرجال - الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - دراسة وتحقيق: علي محمد معوض وآخرون - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٦١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ - إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، وعبد الرحمن بن محمد ابن عبد الرحمن بن مَلُوح - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م - دار الوسيلة - جدة.

(٦٢) النهاية في غريب الحديث والأثر - الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير - تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي - ط. د - دار الباز - عباس أحمد الباز - مكة المكرمة.

المسموعات:

- (١) شرح كتاب فضل الإسلام - للشيخ صالح بن فوزان الفوزان.
- (٢) شرح كتاب فضل الإسلام - للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ لولم يُكمل.
- (٣) شرح كتاب فضل الإسلام - للدكتور عبد العزيز السعيد.
- (٤) شرح كتاب فضل الإسلام - للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل.

فهرس محتوى الكتاب

الصفحة	المحتوى
٥	تقرىظ
٧	مقدمة
١٣	ترجمة الشىخ محمد بن عبد الوهاب <small>رحمته الله</small>
١٨	تعريف بالكتاب
٢١	باب فضل الإسلام
٥١	باب وجوب الإسلام
٧٨	باب تفسير الإسلام
٨٩	باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾
٩٦	باب وجوب الاستغناء بمتابعته - يعنى القرآن -
١٠٨	باب ما جاء فى الخروج عن دعوى الإسلام
١٣٠	باب وجوب الدخول فى الإسلام كله وترك ما سواه
١٤٥	باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر
١٥٥	باب ما جاء أن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة
١٥٩	باب قول الله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾
١٦٧	باب قول الله تعالى: ﴿ فَأَقْرِبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾
٥٠٦	باب ما جاء فى غربة الإسلام وفضل الغرباء
٢٢٢	باب التحذير من البدع

الصفحة	المحتوى
٢٣٤	الخاتمة
٢٣٩	فهرس المصادر والمراجع
٢٤٩	فهرس محتوى الكتاب

تم بحمد الله

